جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

رؤية بلاغية نقدية لقصيدة أحمد شوقي (اللّه والعلم)

الدكتورة

نشوى صبري المتولي السيد

المدرس بجامعة الأزهر بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات بكفر الشيخ
وأستاذ مساعد بجامعة الجوف بالمملكة العربية السعودية

العدد الخامس والعشرون

للعام ١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م

الجزء الثالث

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢١م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

رؤية بلاغية نقدية لقصيدة أحمد شوقي (اللّه والعلم)

نشوى صبري المتولي السيد

قسم البلاغة والنقد ـ كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات بكفر الشيخ ـ جامعة الأزهر ـ مصر

قسم اللغة العربية ـ بجامعة الجوف بالمملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني: rhalghazaly@gmail.com

الملخص

تناول البحث قصيدة ذا قيمة فنية وموضوعية، رأينا فيها انعكاسا لحدث مؤثر في عصرنا الحديث، عبر عنه الشاعر بأساليب بلاغية مختلفة تألقت فيها المعاني والصور، متوجة بالفنون البديعية المتنوعة في نسق خلاب ترقت فيه معاني الشاعر وصوره؛ وجدنا الصور البلاغية متآخية متعاضدة تدور في فلك البلاغة العربية؛ فقد وظف الشاعر طاقاته البلاغية فرأينا الصور البيانية المختلفة من تشبيهات واستعارات وكنايات، مرتدية ثوب المعاني وما يطويه من صحة في الصياغة وسلامة في اختيار المفردات، كل هذا مغلف بفنون بديعة تطلبتها المعاني؛ لتترك أثرها في نفوس المتلقين، فقد تضافرت الأساليب البلاغية بين طيات القصيدة لإثبات قيمة العلم. ولما كانت قيمة العلم لا تقف عند زمان ولا يستأثر بها مكان كان للموازنة دورها؛ لبيان أثر الأساليب البلاغية على النفس البشرية في الأقطار المختلفة في تناول فكرة وعرضا، والتفاوت في تقبل المتلقين لها وفقاً لما تحمله من صياغة بلاغية.

الكلمات المفتاحية : رؤية بلاغية ، رؤية نقدية ، قصيدة الله والعلم ، أحمد شوقي .

Examination of a rhetorical and critical view of Ahmad Shawqi's poem - God and Science

Nashwa Sabry El-Metwally ElSyed.

Department of Rhetoric and Criticism - College of Islamic and Arabic Studies for girls in Kafr El-Sheikh - Al-Azhar University - Egypt
Department of Arabic Language - Al-Jouf University, Saudi Arabia
Email: rhalghazaly@gmail.com

Abstract

The research dealt with a poem of artistic and objective value, in which we saw a reflection of an influential event in our modern era, expressed by the poet in different rhetorical styles in which the meanings and images shine, crowned with the various Badia arts in a wonderful manner in which the poet's meanings and pictures rose. We found the rhetorical images of fraternal interdependence that revolve around the orbit of the Arabic rhetoric. The poet employed his rhetorical energies, so we saw the different graphic images of similes, metaphors and metaphors, wearing the garment of meanings and the correctness in the formulation and integrity in choosing the vocabulary, all of this wrapped in exquisite art required by the meanings. To leave its mark on the hearts of the recipients, the rhetorical methods have combined between the folds of the poem to prove the value of knowledge. Whereas the value of knowledge does not stop at a time and no place is taken over by it, the balancing act has its role; To show the effect of rhetorical methods on the human psyche in different countries in dealing with an idea and presentation, and the discrepancy in the recipient's acceptance of it according to the rhetorical form it carries..

Keywords : A rhetorical vision, a critical vision, a poem of God and science, Ahmed Shawky.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾

المقدمة:

الحمد لله حمداً كثيراً يوافي نعمه وسحائب كرمه، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين سيدنا محمد النبي الهادي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد،،،

فمن المعروف أن أدب كل أمة من الأمم هو مجدها وفخارها ، وعنوان مناقبها ، وصورة من واقعها ، كما أن أساليب الناس تحمل كثيرا من سماتهم ، أو كأنها البصمات التي ينفرد بها كل منهم عن الآخر ؛ ولأن ما يجري على الأفراد يجري على الأمم فقد حرصت كل أمة أن تجوِّد آدابها ، وتنقي أساليبها حتى تبدو صورتها نقية ، وملامحها قوية[١] ، ولا يستطيع أديب مهما كانت قدرته الخطابية، أو مهاراته الإبداعية أن يجود أدبه، أو يصقل أساليبه إلا إذا تمتع بحس مرهف، وذوق رفيع عال، منشؤه البلاغة العالية الباحثة عن مواضع الإجادة ، ومواقع الاستحسان ، لهذا كان علم البلاغة بين علوم العربية أكثر المطالب، وأرفع المآرب ، لما به من سبل توصل الدارس في باب الإعجاز إلى مبتغاه ، ويقف على منتهاه ، وهو أن القرآن الكريم بلغ حد الفصاحة والبلاغة درجة لا يستطيع أحد مهما أوتي من بيان الوصول إلى مرتبته ، أو الغور في حدود إعجازه ،" وقد علمنا أنّ

(١) ينظر: بلاغة الأسلوب د/ بسيوني عرفة رضوان ص ٣،٤ طبعة :دار الرسالة للطباعة ١٣٠٤هـ ١٩٨٣م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الإنسان إذا أغفل علم البلاغة، وأخلّ بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصّه الله به من حسن التأليف، وبراعة التركيب،..."[١].

والشعر العربي على مر العصور المختلفة ديوان العرب النابض بإحساس الشعوب المدون لتاريخها، خاصة إذا عالج النص الشعري موضوعات ذات قيمة؛ لذا كان لهذا البحث دوره وقيمته الفنية والبلاغية؛ فمن حيث الموضوع فإنه سيتعرض للفكر العقائدي بطريق خفي، عبر فن أدبي هو أرق فنون الأدب على الإطلاق، ألا وهو الشعر العربي، حيث إنه يعمد إلى قصيدة لأمير الشعراء أحمد شوقي، قالها في مرحلة حياتية كلها تدبر وتفكر ذات مذاق ديني خاص؛ فبعد أن كان شاعر القصر أصبح شاعر الوطن المدافع عن الدين؛ فدائما ما تمر نقاط فارقة في حياة الإنسان تصحح مساره، وتعدل اتجاهه وتهديه إلى الطريق المستقيم؛ لذا لم يترك شوقي هذه الحادثة تمر عليه دون الوقوف وتأمل الجانب الذي قد يغفل عنه البعض؛ فمن يتحدث عن ملك بريطانيا العظمى في أزهي مراحلها ؟ ويصف مدى ضعفه أمام عارض من عوارض الحياة. عبر عن هذا بأساليب بلاغية متنوعة استخرجت كافة طاقات النص الأدبي وأثرها على النفس البشرية، ومما زاد القيمة البلاغية لقصيدة شوقي تلك الموازنات التي سيتناولها البحث بين أمير الشعراء أحمد شوقي وغيره من الشعراء في الأقطار العربية المختلفة؛ وما تلعبه تلك الموازنات بالتواصل الحتمي بين الشعراء وبيان المفارقات في عرض المعاني، وقدرة الشاعر على استثمار معارفه المختلفة وانتقائه لألفاظه وعباراته وصبغها بصبغة بلاغية تتوافق والمعاني

(١) كتاب الصناعتين ــ أبو هلال العسكري : تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ط : المكتبة العنصرية – بيروت : ١٤١٩ هـ، صـ ١.

المسوقة لها. ولذا جاء هذا البحث بعنوان : " رؤية بلاغية نقدية لقصيدة أحمد شوقي "الله والعلم "

وقد جاء هذا البحث في مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس فنية.

أما **المقدمة** فقد تحدثت فيها عن أهمية الموضوع ، ودوافع اختياره ، والمنهج المتبع في البحث ، وذكرت بعضا من الدراسات السابقة والتي لها صلة بموضوع البحث .

وأما **التمهيد** ، فقد اشتمل على أمرين :

الأمر الأول : أحمد شوقي سيرة وحياة .

الأمر الثاني : بين يدي القصيدة .

وأما **المبحث الأول** فجاء بعنوان : التحليل البلاغي والنقدي للقصيدة.

وأما **المبحث الثاني** فجاء بعنوان: موازنات بلاغية، وجاء في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الموازنة البلاغية في حسن العواقب.

المطلب الثاني: موازنة بلاغية في الحديث عن مكانة الطبيب.

المطلب الثالث: موازنة بلاغية في الحديث عن منزلة العلم ومكانته.

ثم تأتي **خاتمة** البحث، ونتائجه، والفهارس.

وإذا كان من اللازم لكل باحث أن يكون له نظام يسير عليه وطريق ينتهجه في بحثه، فالذي ينبغي التعويل عليه في هذا البحث هو المنهج التكاملي التحليلي الذي يعتمد على النظرة الكلية للشاهد القرآني، وتحليله في ضوء المقام الذي سيق له، فيأخذ من كل منهج ما يمكن الاستعانة به في بحثه.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وإنني بهذه الدراسة أكون قد حاولت أن أقتبس من هذا النور، وإن بدا لي التقصير فحسبي قول الشاعر(١):

لا تَلُمْ كَفِّي إذا السَّيْفُ نَبَا *** صَحَّ مِنِّي العَزْمُ والدَّهرُ أَبَى

فقد عزمت بلوغ الأماني، والنية تعظم العمل، ومن كتب قبلي فكمـــل؟! فالله أسأل أن أكون من المخلصين، وأن يغفر لي كل تقصـــير . والحمـــد لله رب العالمين .

(١) ديوان حافظ إبراهيم : طبعة : دار الكتب المصرية، ١٩٧٣ م. ٢/٧

التمهيد

أولا : أحمد شوقي سيرة حياة

(١٨٦٩م-١٩٣٢م).

هو: " أحمد شوقي بن على بن أحمد شوقي، مصري الأبوين وإن كان يضرب بأجداده إلى الأتراك والعرب، واليونان، والجركس؛ نشأ منذ طفولته في سعة ورغد وصلة وثيقة بقصر الخديوي إسماعيل؛ فقد قال:" أخذتني جدتي لأمي من المهد وكانت منعمة موسرة، فكفلتني لوالدي، وكانت تحنو علي فوق حنوهما وترى لي مخايل في البر مرجوة. حدثتني أنها دخلت بي على الخديوي إسماعيل وأنا في الثالثة من عمري، وكان بصري لا ينزل عن السماء من اختلال أعصابه، فطلب الخديوي بدرة من الذهب، ثم نثرها على البساط عند قدمي، فوقعت على الذهب أشتغل بجمعه واللعب به، فقال لجدتي اصنعي له مثل هذا، فإنه لا يلبث أن يعتاد النظر إلى الأرض. قالت: هذا لا يخرج إلا من صيدليتك يا مولاي قال: جيئي به متى شئت. إني آخر من ينثر الذهب في مصر"."[١] ، وهذا التعليق من الجدة يظهر المنبع الذي نشأ به؛ فالجدة على قدر من الفطنة والبلاغة في الرد.

(١) ديوان شوقي (الشوقيات)، تحقيق د. أحمد الحوفي، دار نهضة مصر بالقاهرة، ج١، صـ٤،٣.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

- **حياة شوقي**:

مرت حياة شوقي بمرحلتين قبل النفي وبعده، ويعبر أحد الرواد الذين كانوا على صلة بشوقي عن هاتين المرحلتين فيقول: " ولئن كان في شعر شبابه مأسور الفكر، محصور الخيال، محدود النظر، لا يعبر إلا عن رأي القصر، ولا يصور إلا بألوان البيئة، لقد كانت هذه الحقبة الرسمية غيبة للشاعر عن نفسه، وذهولاً منه عن وجوده؛ وقديماً كانت صلات الشعراء بالملوك والخلفاء عاهة الشعر وآفة العبقرية، فلما أعتقته الحرب من رق الوظيفة، وأطلقته إنجلترا بالنفي إلى الأندلس، تيقظ فيه الرسول الشاعر والحكيم المصلح، فحلق بخياله في كل جو، وسطح بعقله في كل أفق، وشدا بالإسلام والعروبة والمصرية شدوا ردده كل لسان واهتز له كل قلب؛ ثم زاد في القيثارة العربية الأوتار الناقصة، فأضاف الشعر القصصي والشعر التمثيلي إلى شعرنا الغنائي؛ فكان بذلك وحده الشاعر الكامل"(١)

وبهذا بدت أمامنا نقاط التحول في حياة أمير الشعراء.

وتنوعت روافد الثقافة عند شوقي ما بين الكتاب ثم الالتحاق بمدرسة المبتديان الابتدائية، وكان ترتيبه الثاني على المدرسة كلها، ثم ألحقه أبوه بمدرسة الحقوق ليدرس القانون، وأُنشئ قسم الترجمة فالتحق به، وأخذ ينظم الشعر في مدح الخديوي توفيق في المواسم والأعياد، فينه بالقصر، ثم أرسله إلى فرنسا، وبعد عودته إلى وطنه ظل تحت رعاية الخديوي عباس الثاني، وتزوج من سيدة ثرية كانت مثالاً للزوجة الصالحة رزق منها

(١) وحي الرسالة، فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع والقصص، لأحمد حسن الزيات، دار الثقافة بيروت– لبنان ج١، صـ ٢٨٢.

بولدين، على وحسن وابنته أمينة [١] ، نلحظ الحياة الاجتماعية المستقرة لدي أمير الشعراء.

- **إمارة الشعر**:

بويع شوقي بإمارة الشعر " في مهرجان كبير بالقاهرة سنة ١٩٢٧م بعد طبع ديوانه الطبعة الثانية في حفل كبير في دار الأوبرا تحت رعاية الملك فؤاد ورياسة سعد زغلول"[٢].

وأنشد حافظ إبراهيم قصيدة بارعة في الاحتفال بايعه فيها بإمارة الشعر فقال: [٣]

أميرَ القوافي قد أتيتُ مبايعًا * * وهذي وفود الشرق قد بايعت معي

ثانيا : **بين يدي القصيدة**

ديوان شوقي غزير بالشعر الديني المنثور في الكثير من قصائده، هذا فضلاً عما أنفرد به ديوانه من باب باسم " باب النبوات" وديوانه " دول العرب وعظماء الإسلام". ومرض شوقي مرضاً شديداً مات بسببه سنة ١٩٣٢م.

---

(١) ينظر الشعر العربي الحديث، د. عبد المجيد هندي، مكتبة عين شمس، صـ ٦٤،٦٥.

(٢) ديوان شوقي (الشوقيات)، تحقيق د. أحمد الحوفي، ج١، صـ ١٠

(٣) ديوان حافظ إبراهيم، تحقيق أحمد أمين، وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م، صـ ١٢٨.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

نص القصيدة

١. لِمَن ذَلكَ المُلكُ الَّذي عَزَّ جانِبُهُ ∴ لَقَد وَعَظَ الأَملاكَ وَالناسَ صاحِبُه
٢. أَمُلكُكَ يا داوُدُ وَالمُلكُ الَّذي ∴ يَغارُ عَلَيهِ وَالَّذي هُوَ واهِبُه
٣. أَرادَ بِهِ أَمراً فَجَلَّت صُدورُهُ ∴ فَأَتبَعَهُ لُطفاً فَجَلَّت عَواقِبُه
٤. رَمى وَاستَرَدَّ السَهمَ وَالخَلقُ غافِلٌ ∴ فَهَل يَتَّقيهِ خَلقُهُ أَو يُراقِبُه
٥. أَيَبطُلُ عيدُ الدَهرِ مِن أَجلِ دُمَّلٍ ∴ وَتَخبو مَجاليهِ وَتُطوى مَواكِبُه
٦. وَيَرجِعُ بِالقَلبِ الكَسيرِ وُفودُهُ ∴ وَفيهِم مَصابيحُ الوَرى وَكَواكِبُه
٧. وَتَسمو يَدُ الدَهرِ اِرتِجالاً بِبَأسِها ∴ إِلى طُنُبِ الأَقواسِ وَالنَصرُ ضارِبُه
٨. وَيَستَغفِرُ الشَعبُ الفَخورُ لِرَبِّهِ ∴ وَيَجمَعُ مِن ذَيلِ المَخيلَةِ ساحِبُه
٩. وَيُحجَبُ رَبُّ العيدِ ساعَةَ عيدِهِ ∴ وَتَنقُصُ مِن أَطرافِهِنَّ مَآرِبُه
١٠. أَلا هَكَذا الدُنيا وَذَلِكَ وُدُّها ∴ فَهَلّا تَأَتّى في الأَمانِيِّ خاطِبُه
١١. أَعَدَّ لَها إِدوَردُ أَعيادَ تاجِهِ ∴ وَما في حِسابِ اللَهِ ما هُوَ حاسِبُه
١٢. مَشَت في الثَرى أَنباؤُها فَتَساءَلَت ∴ مَشارِقُهُ عَن أَمرِها وَمَغارِبُه
١٣. وَكائِرَ في البَرِّ الحَصى مَن يَجوبُهُ ∴ وَكائِرَ مَوجَ البَحرِ راكِبُه
١٤. إِلى مَوكِبٍ لَم تُخرِجِ الأَرضُ مِثلَهُ ∴ وَلَن يَتَهادى فَوقَها ما يُقارِبُه
١٥. إِذا سارَ فيهِ سارَتِ الناسُ خَلفَهُ ∴ وَشَدَّت مَفاويرَ المُلوكِ رَكائِبُه
١٦. تُحيطُ بِهِ كَالنَملِ في البَرِّ خَيلُهُ ∴ وَتَملَأُ آفاقَ البِحارِ مَراكِبُه
١٧. نِظامُ المَجالي وَالمَواكِبِ حَلَّهُ ∴ زَمانٌ وَشيكٌ رَيبُهُ وَنَوائِبُه
١٨. فَبَينا سَبيلُ القَومِ أَمنٌ إِلى المُنى ∴ إِذا هُوَ خَوفٌ في الظُنونِ مَذاهِبُه
١٩. إِذا جاءَتِ الأَعيادُ في كُلِّ مَسمَعٍ ∴ تَجوبُ الثَرى شَرقاً وَغَرباً جَوائِبُه

٢٠. رَجاءٌ فَلَم يَلبُث فَخَوفٌ فَلَم يَدُم ∴ سَلِ الدَهرَ أَيُّ الحادِثَينِ عَجائِبُه

٢١. فيا لَيتَ شِعري أَينَ كانَت جُنودُهُ ∴ وَكَيفَ تَراخَت في الفِداءِ قَواضِبُه

٢٢. وَرُدَّت عَلى أَعقابِهِنَّ سَفينُهُ ∴ وَما رَدَّها في البَحرِ يَوماً مُحارِبُه

٢٣. وَكَيفَ أَفاتَتهُ الحَوادِثُ طِلبَةً ∴ وَما عَوَّدَتهُ أَن تَفوتَ رَغائِبُه

٢٤. لَكَ المُلكُ يا مَن خَصَّ بِالعِزِّ ذاتَهُ ∴ وَمَن فَوقَ آرابَ المُلوكِ مَآرِبُه

٢٥. فَلا عَرشَ إِلّا أَنتَ وارِثُ عِزِّهِ ∴ وَلا تاجَ إِلّا أَنتَ بِالحَقِّ كاسِبُه

٢٦. وَآمَنتُ بِالعِلمِ الَّذي أَنتَ نورُهُ ∴ وَمِنكَ أَيادِيهِ وَمِنكَ مَناقِبُه

٢٧. تُؤامِنُ مِن خَوفٍ بِهِ كُلُّ غالِبٍ ∴ عَلى أَمرِهِ في الأَرضِ وَالداءُ غالِبُه

٢٨. سَلوا صاحِبَ المُلكَينِ هَل مَلَكَ القُوى ∴ وَأُسدُ الشَرى تَعنو لَهُ وَتُحارِبُه

٢٩. وَهَل رَفَعَ الداءَ العُضالَ وَزيرُهُ ∴ وَهَل حَجَبَ البابَ المُمَنَّعَ حاجِبُه

٣٠. وَهَل قَدَّمَت إِلّا دُعاةً شُعوبُهُ ∴ وَساعَفَ إِلّا بِالصَلاةِ أَقارِبُه

٣١. هُنالِكَ كانَ العِلمُ يُبلي بَلاءَهُ ∴ وَكانَ سِلاحُ النَفسِ تُغني تَجارِبُه

٣٢. كَريمُ الظُبا لا يَقرَبُ الشَرَّ حَدُّهُ ∴ وَفي غَيرِهِ شَرُّ الوَرى وَمَعاطِبُه

٣٣. إِذا مَرَّ نَحوَ المَرءِ كانَ حَياتَهُ ∴ كَإِصبَعِ عيسى نَحوَ مَيتٍ يُخاطِبُه

٣٤. وَأَيسَرُ مِن جُرحِ الصُدودِ فِعالُهُ ∴ وَأَسهَلُ مِن سَيفِ اللِحاظِ مَضارِبُه

٣٥. عَجيبٌ يُرَجّى مِشرَطاً أَو يَهابُهُ ∴ مَنِ الغَربُ راجيهِ مَنِ الشَرقُ هائِبُه

٣٦. فَلَو تُفتَدى بِالبيضِ وَالسُمرِ فِديَةٌ ∴ لَأَلقَت قَناها في البِلادِ كَتائِبُه

٣٧. وَلَو أَنَّ فَوقَ العِلمِ تاجاً لَتَوَّجوا ∴ طَبيباً لَهُ بِالأَمسِ كانَ يُصاحِبُه

٣٨. فَآمَنتُ بِاللَهِ الَّذي عَزَّ شَأنُهُ ∴ وَآمَنتُ بِالعِلمِ الَّذي عَزَّ طالِبُه

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المبحث الأول

تحليل بلاغي ونقدي للقصيدة

- مناسبة هذه القصيدة:

نظمت هذه القصيدة بمناسبة حفلة تتويج الملك إدوارد السابع[١] وقد تم تأجيل إقامة الحفل لإصابة جلالته بدمل، وذلك في سنة ١٩٠٢م.[٢]. واستهلها شوقي بقوله:

لِمَن ذَلِكَ المُلكُ الَّذي عَزَّ جانِبُهُ ∴ لَقَد وَعَظَ الأَملاكَ وَالناسَ صاحِبُه

ففي هذا البيت براعة الاستهلال [٣]؛ فقد استهل به شوقي قصيدة أسلوب استفهامي غاية في البراعة والجمال، فبدأه بـ "من" الاستفهامية،

---

(١) (إدوارد السابع)ألبرت إدوارد؛ 9نوفمبر 6 - 1841 مايو(1910 ، ملك المملكة المتحدة، ملك دول الكومنولث وإمبراطور الهند هو ابن الملكة فيكتوريا وأول عاهل من بيت ساكس-كوبورغ، الذي غير تسميته ابنه الملك جورج الخامس إلى بيت وندسور .وشغل قبل اعتلائه العرش منصب ولي العهد وأمير ويلز لمدة أطول من أسلافه تزامن العهد الإدواردي (والذي سمي باسمه) مع طفرة تكنولوجية واجتماعية هامة تمثلت أساسا بظهور الطيران وصعود الاشتراكية. ولعب إدوارد السابع دورا هاما في تحديث الأسطول البريطاني الداخلي وإصلاح الخدمات الطبية للجيش البريطاني وإعادة تنظيم الجيش أثر حرب البوير الثانية كما عمل على تعزيز العلاقات بين بريطانيا العظمى والبلدان الأوروبية الأخرى وخاصة فرنسا حتى أصبح يسمى "صانع السلام. [https://ar.wikipedia.org/wiki]

(٢) الشوقيات لأمير الشعراء : أحمد شوقي – تحقيق د. يوسف الشيخ محمد البقاعي – دار الكتاب العربي –٢٠١٤م– الجزء الأول– صـ٦٤.

(٣) براعة الاستهلال ، أو حسن الابتداء وهو: أن يكون مطلع القصيدة أو غيرها مع عذوبة لفظه ، وسهولة سبكه ، صحيح المعاني متناسب القسمة ، وأحسنه ما تضمن معنى ما سبق الكلام لأجله [المصباح في المعاني والبيان والبديع – بدر الدين بن مالك – ص ٢٦٩ – تحقيق دكتور / حسني عبد الجليل يوسف – الناشر مكتبة الآداب والتعريفات، للشريف علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨م، صـ ٦٣. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، لأحمد الهاشمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، صـ ٤٢٠.

وهو استفهام تقريري؛ فذلك الملك القوي الشديد لا يكون إلا للخالق – سبحانه وتعالى – فكأنه يريد من أهل العلم الإقرار بتلك المسلمة، وهي كون هذا الملك الذي عزَّ جانبه هو ملك الله –سبحانه وتعالى يسير فيه الأمور كيف يشاء. فكل ما يحدث أسباب لمقادير قدرها الله في الأزل، ثم يتبع الاستفهام باسم الإشارة " ذلك" ويؤثر اختيار اسم الإشارة للبعيد لبيان عظم وعلو منزلة هذا الملك الذي نعيش في سياجه الأمين وقد قال أبو العتاهية:

وفي كلّ شيء له آية ∴ تدل على أنّه واحد[1]

من روائع الأساليب التعبيرية عند شوقي أن يستقصي في حديثه موضحاً لنا خصائص ذلك الملك، معرفاً إياه بالاسم الموصول (الذي عزَّ جانبه) فإنه قوي منيع الجانب لا يستطيع أي مخلوق اختراقه، ويؤكد أمير الشعراء أن قوة هذا الملك مبنية على مسلمات لا تسمح لأحد إنكارها مستعيناً بلام التأكيد الداخلة على قد التحقيقية الداخلة على الفعل الماضي في قوله(لقد وعظ الأملاك والناس صاحبه). ويؤثر شوقي تقديم المفعول به (الأملاك والناس) على الفاعل (صاحبه)؛ ليؤكد ما رمى إليه الاستفهام في مستهل قصيدته من حمل الجميع خاصة العلماء على الإقرار بأن مثل هذا الملك وما به من منعة وقوة لا يكون إلا لصاحبه – خالقه – ويقدم المفعول به لكونه أدعى للحجة عليه، فإذا أخذ الإنسان بالبينة ودواعي قبول القضية، فلا مانع يمنعه ولا حجة تضعف رأيه لقوة ما يركن إليه، وإذا كان الواعظ والآخذ هو الله كانت الحجة أثبت والأخذ بها أحق، ومن الجدير بالذكر أن الشاعر لم يصرح بلفظ الجلالة لحمل القارئ على الإقرار به والتفاعل

(١) ديوان أبي العتاهية ، دار بيروت ، ١٤٠٦هـ - ١٩٦٨م، صـ١١٢.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

النفسي مع الشاعر والابتداء في خوض غمار التجربة معه ومعايشتها وينتقل إلى البيت التاي جاعلاً من الاستفهام محوراً لأساليبه قائلاً:

١- أَمُلكُكَ يا داوُدُ وَالمُلكُ الَّذي ∴ يَغارُ عَلَيهِ وَالَّذي هُوَ واهِبُه

وفي هذا البيت ينتقل بنا أمير الشعراء من الملك القوي الذي هو جزء من تكوين الله وخلقه إلى بيان ما وهبه الله للملك إدوارد السابع ويتابع حديثه بأسلوب استفهامي مستحضراً فيه ملك "داود"- عليه السلام – مقتبساً[١] من القرآن الكريم من قوله تعالى: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ ﴾ [٢] وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ ﴾ [٣]؛ فمثل هذا الملك يفرض على الإنسان أن يغار عليه وواهب الملك العظيم لداود هو من وهب مُلك بريطانيا لإدوارد ولا يكون ذلك إلا ممن بيده تصريف الأمور وتدبيرها بطريقة ينتظم معها نظام الكون ولا يكون ذلك إلا من الله سبحانه وتعالى.

وهذا البيت يجسد شخصية شوقي الدينية فهو يتأمل الحاضر ويأخذنا معه في التفكر والتدبر والربط بين الأمور ليصل بنا إلى حقيقة مطلقة وقضية مسلم بها عن طريق عرض المقدمات والدلائل والبراهين التي تسوق

---

(١) وأطلق البعض على الأخذ من القرآن اقتباساً للتفريق بينه وبين سائر الكلام، وهو أن يضمن الكلام كلمة من القرآن أو آية دون الإشارة إلى ذلك.[تسهيل نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، للرازي، تحقيق د. عبد القادر حسين، طبعة دار الأوزعي بيروت- لبنان، ١٩٨٩م، صـ ١٣٨.]

(٢) سورة النمل آيه: ١٦

(٣) سورة سبأ آيه ١٠.

القارئ إلى ليس مجرد النطق بالحكم بل الإقرار به عن ثقة ويقين واقتناع. وكأنه من طرف خفي يعقد مقارنة بين ملك إدوارد حاكم بريطانيا وبين ملك داود نبي الله عليه السلام مرجحا قوة ملك نبي الله داود ظهر هذا جلياً في تعريفه (الملك الذي) بالموصولية لإفادة التعظيم كل هذا وهو يؤثر غض الطرف عن التصريح بملك إدوارد الذى توصلنا إليه من خلال السياق العام للقصيدة؛ وفى هذا تلميح إلى أن ملك إدوارد لا يستحق كل هذا العناء، ولا قيمة له إذا قيس بملك داود – عليه السلام – كما سيتضح لنا في الأبيات التالية، ويطالعنا شوقي بأسلوب الالتفات [1]وما ينطوي عليه من بلاغة فائقة تجذب انتباه السامع؛ تنشط ذهنه ليتوصل إلى مكون سره البلاغي فيلتفت من أسلوب الخطاب في قوله (أملك يا داود) إلى أسلوب الغيبة في قوله (والذي هو واهبه)، وتكمن بلاغة الالتفات في تناسي الزمن واستحضار ملك داود عليه السلام، وكأن شوقي يمر بالماضي آخذاً بيد السامع ناقلاً لفكره وعقلة متخطياً به حدود الزمان، وفى التعبير عن واهب ذلك الملك أثر أسلوب الغيبة متمثلاً في (هو) مع أن الله سبحانه وتعالى حاضر في كل زمان موجود مع كل المخلوقات تعظيماً لذاته العلية، ويعرب شوقي عن الغرض الأساسي من قصيدته فيقول:

---

(١) الالتفات عند الجمهور هو: التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة، التكلم، أو الخطاب، أو الغيبة، بعد التعبير عنه بطريق آخر منها.[الايضاح في علوم البلاغة – الخطيب القزويني :٢/ ٨٥ تحقيق د/ محمد عبد المنعم خفاجي طبعة دار الجيل بيروت ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م،وبغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ)، تحقيق عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، الطبعة : الأولى، ٢٠٠٩م، صـ ١٣٨.] وعول عليه ابن الأثير بأنه : ينتقل فيه عن صيغة إلى صيغة. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين ابن الأثير: ٢/ ١٧٧، ١٦٨. تحقيق د. أحمد الحوفي، د. بدوي طبانه، دار نهضة مصر

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

٢- أَرادَ بِهِ أَمراً فَجَلَّت صُدورُهُ ∴ فَأَتبَعَهُ لُطفاً فَجَلَّت عَواقِبُه

وفي هذا البيت يتحول بنا شوقي من الأساليب الإنشائية[١] إلى أسلوب خبري [٢] متمثلاً في الإخبار بالفعل الماضي (أراد به أمراً) وكأنه قد انتهى بالأساليب الإنشائية إلى بيان قدرة الله – سبحانه وتعالى – وقد أخذ الإقرار من السامع والقارئ فأخذ يصدر حكما تابعاً للنتائج التي قد انتهى منها؛ فقد أراد الله –سبحانه وتعالى– أمراً عظيماً قال تعالى:﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [٣] هذا الأمر الجلل الذي أراده المولى – سبحانه وتعالى– صدره عظيم وهو انقضاء أجل الملكة فيكتوريا، هذا الأمر العظيم والخطب الخطير أتبعه لطفاً عظيماً في عواقبه؛ فكان القضاء بتويج الملك إدوارد واتكأ أمير الشعراء في التعبير عما أراد بأسلوب خبري، ونكر المفعول به في قوله: (أمراً) للتعظيم، كما استعان بالفاء العاطفة دون غيرها من أدوات العطف في قوله: (فجلت صدوره، فأتبعه، فجلت عواقبه) للتعقيب، وهذا التدبير الرحيم بالبشرية لا يكون إلا من الخالق – سبحانه وتعالي– فالضمير في (أراد به) يعود على (والذي هو واهبه) أي الله – سبحانه وتعالى– ونكر لفظ(لطفاً) للتعظيم أي أتبعه لطفاً عظيما على قدر الخطب.

---

(١) الإنشاء هو : قول لا يحتمل الصدق والكذب لذاته. المفصل في علوم البلاغة (المعاني – البيان – البديع)، البرفيسور، عيس على العاكوب، جامعة حلب، سنة ٢٠١٧م، صـ ٦٩.

(٢) الخبر هو : : قول يحتمل الصدق والكذب لذاته. المفصل في علوم البلاغة، مرجع سابق – صـ ٦٩.

(٣) سورة يس : آية: ٨٢

وآثر الشاعر فن الطباق[١] بين لفظي(صدوره) و(عواقبه) للإحاطة بالشيء من خلال الجمع بين الضدين فقد ألبسهما ثوباً واحداً مما فتح طريقاً للعقل لجمع هذا الشتات والربط بين المتضادين، ومعرفة علاقة ذلك وأثره على النفس هذا فضلاً عن أثرهما في موسيقى البيت فإحداهما وقعت في عجز الشطر الأول والثانية وقعت في عجز الشطر الثاني، ويتابع شوقي حديثه متناولاً الضعف الذي جبل عليه الإنسان مستقصياً [٢] في وصفه فيقول:

أَرادَ بِهِ أَمراً فَجَلَّت صُدورُهُ ∴ فَأَتبَعَهُ لُطفاً فَجَلَّت عَواقِبُه
رَمى وَاستَرَدَّ السَهمَ وَالخَلقُ غافِلٌ ∴ فَهَل يَتَّقيهِ خَلقُهُ أَو يُراقِبُه
أَيَبطُلُ عيدُ الدَهرِ مِن أَجلِ دُمَّلٍ ∴ وَتَخبو مَجاليهِ وَتُطوى مَواكِبُه
وَيَرجِعُ بِالقَلبِ الكَسيرِ وُفودُهُ ∴ وَفيهِم مَصابيحُ الوَرى وَكَواكِبُه

يسهل أمير الشعر بيته هذا بطابق بديعي بين كلمتي (رمى) و(استرد) وهو طباق معنوي؛ فالرمي يعني إبعاد الشيء والاسترداد يعني القرب، وتظهر عقيدة شوقي السوية فيبني الفعلين (رمى، واسترد)إلى الفاعل؛ فلامساك بزمام الأمور والتحكم في الأقدار لا يكون إلا بيد الخالق القهار.

---

(١) الطباق هو: الجمع بين متضادين في الجملة. الايضاح في علوم البلاغة : ٦ / ٦ ، وينظر : تسهيل نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، للرازي، تحقيق د. عبد القادر حسين، طبعة دار الأوزعي بيروت- لبنان، ١٩٨٩م، صـ١١٨

(٢) الاستقصاء هو: أن يتناول الشاعر معنى فيستقصيه إلى أن لا يترك فيه شيئاً. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، لابن أبي الإصبع المصري (٦٥٤هـ) ، تحقيق د. حفني محمد شرف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لجنة إحياء التراث، الجزء الرابع، صـ ٥٤٠.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وهذ شوقي ربيب القصور بذوق راق وبفكر واعٍ وبأسلوب سلس يعبر عما يجول في خواطر الشعوب وما تنطق به ألسنتها، مؤثراً الاستعارة التمثيلية [١] في قوله (رمى واسترد السهم)؛ فهو يصلح لأن يكون مثلاً لكل شدة يتخللها انفراجه.

وما تزال روح شوقي الدينية تبث شذاها في أشعاره؛ فمعنى هذا الشطر من البيت مقتبس من حديث، أو من قول الإمام علي:{ النّاسُ نِيَامٌ، فَإذَا مَاتُوا انْتَبَهُوا} [٢].

ويجول بنا شوقي في حديقة الأساليب المتنوعة فينقل من الأسلوب الخبري إلى الأسلوب الإنشائي جاعلاً من الاستفهام محوراً لبيان أهمية العقيدة وأداة للإقرار بنفاذ الأقدار، وعجز أي مخلوق عن الفرار مما قُدر له مهما بلغ سلطانه، أو كانت قوته متمثلاً في قوله:(فهل يتقيه خلقه أو يراقبه). وكلها كما نرى معان إيمانية؛ حيث كانت تقوى الله –سبحانه وتعالى– هي مدار الأفضلية وأساس المفاضلة بين البشر؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾ [٣].

---

(١) الاستعارة التمثيلية هي: تركيب استعمل في غير ما وضع له، لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة معناه الأصلي. الايضاح في علوم البلاغة : ٥/ ١١٨، وجواهر البلاغة، صـ ٢٧٥.

(٢) رقم الحديث: ٣٧٧ حديث "الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا " من كلام علي رضي الله عنه – المصنوع في معرفة الحديث الموضوع (الموضوعات الصغرى)، علي بن سلطان محمد الهروي القاري، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٣٩٨ هـ، الطبعة: الثانية، ج١/ص١٩٩.

(٣) الحجرات: ١٣

هكذا تحقق شوقي من إيصال ما أراد عن طريق الاستفهام التقريري؛ فقد قدم ما يدل على قدرة الله وغفلة الخلق، وأتى بالاستفهام لإيقاظهم من غفلتهم وتنبيههم إلى ما يجب أن يكون؛ لحمل كل من يستمع إلى هذا السؤال إلى الإقرار بأهمية تقية الله سبحانه وتعالى- ومراقبته في كافة أموره.

ويضفي شوقي على لغته الشعرية من فنون البديع ما يناسبها وما تطلبه المعاني؛ فنلمح الطباق المعنوي بين لفظي (غافل) و(يراقبه)؛ إذ الغفلة تفيد إهمال الشيء وتركه بينما المراقبة تعني التنبه إلى كل صغيرة وكبيرة، فهذا شوقي يجمع بين القمة والقاع لإظهار ما أراد الوصول إليه وكما قال علي بن جبلة:

ضِدانِ لمّا استَجمَعا حَسُنا ∴ والضِدّ يُظْهِرُ حُسْنَهُ الضِدُّ[1]

وقول أبي الطيب المتنبي :

وبضدها تتميز الأشياء[2]

وينتقل شوقي من دائرة الاستفهام التقريري الذي علل له وجعل القارئ يُقر بما ينطوي عليه من معان إلى الاستفهام التعجبي في قوله: (أيبطل عيد الدهر من أجل دمل) فنرى الترقي [3] في اختيار ألفاظه والرشاقة في الانتقال من معنى إلى معن آخر أكثر عمقاً وأثراً، وفي عباءة

(١) ديوان علي بن جبلة، تحقيق :د. حسين عطوان دار النشر :دار المعارف، لطبعة الثالثة، صـ١٦٦.

(٢) ديوان أبي الطيب المتنبي المسمى بالتبيان في شرح الديوان لأبي البقاء العكبري : ١ /

(٣) الترقي هو : أن نذكر معنى ثم نردف عليه ما هو أبلغ منه. فن البديع، د. عبد القادر حسين، دار الشروق، ٢٠٠٢م، صـ ١٠٨.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الاستفهام تشرق لنا الاستعارة؛ فقد جعل الشاعر للدهر عيداً؛ فقد شبه هذا الملك في عموم سلطانه بالدهر ثم استعار الدهر للملك على سبيل الاستعارة التصريحية، وتكمن جمال الاستعارة فيما أحدثته من مبالغة في المعاني، ونحن نعرف أن الدهر يعبر به عن القوة، والملك إدوارد لم يكن ملكه مما يستهان به، وبالرغم من هذه القوة حدث ما حدث بسبب شيء ضعف إذا قورن بقوته تبدلت الأمور وانقلبت الأحوال، ولعل هذا ما جعل شوقي يؤثر التعريف للفظ (الدهر)؛ ليبين فخامة الحدث وضئال ما أثر فيه وهو إصابة الملك بأمر عارض من وجود (دمل) [١].

من أجل هذا الدمل تُطفأ مواضعه، وتُطوى مواكبه؛ فيخيم الحزن والظلام على موضع إقامة هذا الحفل بسبب ما عرض للملك، ولننظر إلى جمال الألفاظ وموسيقاها لدى شاعرنا؛ فقد آثر لفظ " تطوى" دون غيرها لما فيها من استعارة بليغة؛ " فالطي " يكون للكتب والشاعر هنا متأثر بالبلاغة القرآنية في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [٢]؛ فالمواكب لا تطوى؛ مما يجعلنا نتأمل سوياً تلك المفارقات مما كان قبل الحفل من إعداد وتجهيزات نشرتها الصحف وما كان بعد تأجيل الحفل. هل ستنشر الصحف خبر التجهيزات وتطوي الذكر عن خبر التأجيل أم ستبكي تأجيل هذا الحفل منطلقة إلى ذكر ما أصاب ملك المستقبل من " دمل" متضرعين بالدعاء له.

---

(١) الدمامل: عدوى أعمق من التهاب الجريبات، يتجمع فيها قيح (صديد) تحت الجلد مكونًا كتلة حمراء مؤلمة تظهر على سطح الجلد.[https://www.moh.gov.sa/]

(٢) الأنبياء: ١٠٤

مما أنبأ عنه الأسلوب الاستعاري المبني على الخفاء؛ ليتناسب مع النفس البشرية حيال هذا الموقف، فثمت جانب لابد من خفاءه لأنه لا مجال له هنا الآن، وجانب آخر نحتاج إلى اظهاره نتلمس العلل لتأجيل هذا الحفل الذي أطلق عليه شاعرنا " عيد الدهر".

وينطلق الشاعر بالتفاتة رائقة من الفعل " تحبو" المبني للفاعل إلى الفعل " تُطوى" المبني للمفعول؛ إذ الموضع الذي تم تحديده لإقامة الحفل معروف لدى الجميع، ومن قام بتجهيزه سيقوم بإزالة التجهيزات، ولما كان تعامله مع الجمادات –التجهيزات – كان الأمر هين، أما إسناد الفعل "تُطوى " إلى المبني للمفعول إذ أن الموكب الذي يسير في ركاب الملك مجموعة من البشر، فلم يكن الموكب واحد كما كان الموضع؛ فضراوة الأمر على النفس البشرية وتأثره به أقوى؛ ولعظم الأمر وقسوته تم إسناده إلى المبني للمفعول، وحث العقل على التأمل والتدبر، والتنشيط للفكر الناتج من رشاقة التعبير وتنسم الألفاظ للوصول إلى خباياها، ففي مثل هذا المواقف تكون الحاجة إلى إيقاظ العقول وجذبها للانتباه ونقل ما في النفس البشرية والمشاركة الوجدانية.

فها هو أمير الشعراء يصور لنا الحدث بأدق تفاصيله، حتى ردود الأفعال حيال ما عنً ينقله لنا وينقلنا داخل دائرة الحدث متناسين حدود الزمان والمكان منطلقاً بنا إلى اللاحدود، مبيناً حال تلك القلوب التي رجعت كسيرة معتمداً على الوصل بين الجمل والعبارات مقدماً الجار والمجرور " بالقلب الكسير" على الفاعل " وفوده " لأهمية وبيان ما آل إليه حالهم فتلك القلوب في رقتها وصعوبة عودتها إلى سابق عهدها – الفرح والسعادة– قبل سماع هذا النبأ كالزجاج إذا تكسر لا يعود إلى حالته السالفة كل هذا عن

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

طريق الأسلوب الاستعاري – الاستعارة المكنية-؛ فهو وحده القادر على آداء المعنى الذى أراد الشاعر إيصاله إلى قلوب المتلقين مؤثر أن يجعلهم يعشون تلك اللحظة بأدق تفاصيلها تاركاً أثرها في نفوسهم.

وكأن شوقي يرى في الاستعارة مرماه فيتكئ في الشطر الثاني من البيت على الاستعارة التصريحية؛ مستعيراً المصابيح للأمراء " مصابيح الورى" والكواكب للملوك " وكواكبه"، كم آثر استخدام حرف الجر "في" في قوله " وفيهم"؛ ليفيد تمكن العديد من الأمراء والملوك من وجودهم داخل تلك الوفود التي رجعت من حيث أتت كسيرة القلب دون تحقيق هدفها.

وشوقي لا ينفصل عن الواقع بكل تفاصيله مما يجعله يؤثر صيغة الجمع في قوله:(وفيهم مصابيح الورى وكواكبه) فعلى الرغم مما تحمله العبارات من أسلوب استعاري فشوقي يأبي إلا أن يصور الواقع؛ فيمتزج في شعره الواقع مع الخيال؛ ناقلاً القارئ إلى زمان ومكان الحدث، وهو ماكث مكانه لا يُعمل سوى عقله ويصور حال الدهر وما يفعله بالبشر فيقول:

وَتَسمو يَدُ الدَهرِ اِرتِجالاً بِبَأسِها ∴ إِلى طُنُبِ الأَقواسِ وَالنَصرُ ضارِبُه

وَيَستَغفِرُ الشَعبُ الفَخورُ لِرَبِّهِ ∴ وَيَجمَعُ مِن ذَيلِ المَخيأأأَلَةِ ساحِبُه

في البيت السابع يجعل الشاعر للدهر يدا بطريق الاستعارة المكنية التشخصية؛ وتكمن براعة الشاعر في إيثار تعبرين أراد من خلفهما معان شتى، أحاط يد الدهر بهما: المعنى الأول: جعلها تسمو وتعلو، والمعنى الثاني: جعل بأسها ارتجالاً دون تحفظ أو تهيئة أو تنظيم، وبهذا كان وقعها أشد وبأسها أقوى، العلو والطيش من يد الدهر موجهاً إلى (طنب)[1] الأقواس متوجاً بالنصر.

(١) الطنب حبل الخباء.

ونقف سوياً عند اختيار شوقي لمفرداته وكيفية استثماره لها داخل العبارة لإظهار مكنونات النفس والإفصاح عن خباياها.

(الطنب): حبل الخباء، والأقواس آلة معروفة في الحروب، وكأن يد الدهر لم تترك مكاناً إلا ووصلت إليه حتى تلك الأماكن المحصنة، ففيه كناية عن شدة البأس في حال السلم الاستقرار الذي رمز إليه بلفظ (طنب) فلم تنصب الخيمة وتشد حبالها إلا للاستقرار، فما علاقة الحرب بما يخبر عنه شوقي ؟ ففي حالة الحرب تستخدم الأقواس وكأن شوقي يصور لنا معركة أشد ضراوة من تلك المعارك ضد الأعداء، معركة داخلية ضربت النفس البشرية – صراع النفس مع الدهر – حسمت النتيجة لصالح الدهر، ولم يكن النصر فيها نصراً تقليدياً بل كان نصراً يناسب البطش المرتجل من يد الدهر.

ويؤثر شوقي أسلوب الوصل؛ فيصل جملة (ويستغفر الشعب) بما قبلها؛ ويجعل الشعب الفخور بقائده يستغفر له ، وأثر الشاعر لفظ (لربه) ولما كان اللفظ مستخدماً مع غير الله – سبحانه وتعالى- أتى به مضافاً[1].

وفي قوله: (ذيل المخيلة) استعارة مكنية؛ فقد شبه الكبر والخيلاء بذي ذيلٍ يتخايل به – كالطاووس – وحذف المشبه به وأتى بشيء من لوازمه (ذيل)، وتكمن بلاغة الاستعارة وجمالها في التفافها بعباءة الكناية عن نسبة؛ فقوله (ويجمع من ذيل المخيلة ساحبه) كناية عن خيبة الأمل.

---

(١) " ولا يقال الرب في غير الله إلا بالإضافة " [https://dorar.net/.] ينظر: ((المفردات)) للراغب (ص: ٣٣٦) و((النهاية في غريب الحديث)) (١٧٩/٢) .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ونتأمل دقة الشاعر في انتقاء الألفاظ والمفاضلة بينها واختيار ما يلائم النفس الكسيرة، واستخراج طاقاتها المفعمة بالألم متمثلاً في كلمة (يجمع) وما يوحي به اللفظ من تفرق وتشتت يتناسب مع ما حدث للقوم عقب سماعهم الخبر، هذا بالإضافة إلى لفظ ساحبه وما يدل عليه من التباطؤ في الاستجابة مما يتناسب مع ردة الفعل الدالة على المشاعر الصادقة ويواصل في وصف الاحتفال الذي لم يتم مع شرح ملابساته فيقول:

وَيُحجَبُ رَبُّ العيدِ ساعَةَ عيدِهِ ∴ وَتَنقُصُ مِن أَطرافِهِنَّ مَآرِبُه

ويستهل الشاعر بيته بالفعل المبني للمفعول في قوله (ويُحجب) لكون الفاعل معروف لدى الجميع فمن لديه القدرة على تغيير الأمور هو الله –سبحانه وتعالى– وتبدو عقيدة شوقي الراسخة وإيمانه الصادق في إضافة (رب) إلى العيد.

ويطالعنا شوقي بأسلوب بلاغي غاية الروعة والجمال فيعبر بقوله: (وتنقص من أطرافهن مآربه) فلفظ(أطرافهن) مجاز مرسل علاقته الجزئية[1] فعبر بالجزء وهو الأطراف وأراد الكل وهم الأشخاص ومن خلال هذا الأسلوب نلحظ التناسق البديع بين أبيات شوقي فهو يتناسب مع قوله: (ويجمع من ذيل المخيلة ساحبه)

أَلا هَكَذا الدُنيا وَذَلِكَ وُدُّها ∴ فَهَلّا تَأَتّى في الأَمانِيِّ خاطِبُه

(١) المجاز المرسل هو: ما كانت العلاقة بين ما استعمل له وما وضع فيه ملابسة غير التشبيه. الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني ــ تحقيق د. عبد المجيد هنداوي، المختار للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ٢٠٠٦م، صـ ٣١١.

ويأتي دور الاعتبار والعظة في البيت العاشر مستعيناً بالاستفهام (ألا هكذا الدنيا) ونرى رشاقة أسماء الإشارة ومرونتها في التعبير؛ ف(ذا) اسم إشارة للقريب والمشار إليه هي الدنيا التي نحياها هذا الواقع الذي يعيشه الجميع ويكابد ما يكابده فيها ونرى هذا المعنى جلياً في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤ ﴾ [١].

وحينما هدف إلى مرماه منها وما يأمله من ودها آثر اسم الإشارة (ذلك) الذي هو للبعيد فنراه قائلاً:(وذلك ودُها) فالود بالمعنى الذي نأمله منها بعيد عنا؛ مما جعل أمير الشعراء يتبعه ب(هلا) التي تفيد التحضيض[٢] وقد دخلت على الفعل المضارع لإفادة الحث على الفعل وكون إنجازه من الأمور المحببة فهلا تتحقق أماني هذا الخاطب الذي يخطب ودها؟

أَعَدَّ لَها إِدوَردُ أَعيادَ تاجِهِ ∴ وَما في حِسابِ اللَهِ ما هُوَ حاسِبُه

وينتقل الشاعر من الأساليب الإنشائية ليجد ملاذه في الأسلوب الخبري؛ يخبرنا بالغرض من هذا الحفل مصرحاً فيه باسم صاحبه، فذكر المسند إليه وعرفه بالعلمية؛ لإحضاره بعينه في ذهن السامع [٣] مما يدل على عظم شأن الواقعة وما تركته من أثر قوى يظل باقياً وها هي قصيدة أمير الشعراء تجعل من هذه الواقعة مدارا على مر العصور كل من يقرأها

---

(١) سورة البلد: ٤

(٢) التحضيض: الحَث على الشيء. شرح المفصل للزمخشري المؤلف: يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (المتوفى: ٦٤٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، الجزء الخامس، صـ:٨٨.

(٣) المفصل في علوم البلاغة العربية- المعاني والبيان والبديع- صـ:١٠٨.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

يقر بقدرة الله وأهمية العلم للوصول إلى حقائق قد تكون ظاهرة أمام أعيننا لكننا في حاجة إلى من يُوقظنا من تلك الغفلة التي تجرنا خلفها.

وقد صرح شاعرنا من الغرض الذي كان من أجله الحفل وهو تتويج الملك إدوارد متمثلاً في قول أمير الشعراء: (أعد لها إدوارد أعياد تاجه) فقد آثر التعبير بصيغة الماضي لينسحب من الماضي إلى المضارع لبيان فجاعة الموقف وقسوته، ولنتصور معا تلك الحالة النفسية التي تنتاب ملك بعد أن جهز الحفل لارتدائه التاج وتوليته حكم دولة لها مكانتها كبريطانيا ثم يفاجئه القدر وتكون المشيئة الإلهية؛ فحساب الخلق ليس كحساب الرب، وما في قدر الله قد يخالف إرادة العبد، ولا ينفذ ولا يكون إلا ما أراد الله سبحانه وتعالى.

ونتأمل صيغة الجمع في لفظ (أعياد وما رمت إليه من استعدادات كانت في مشارق الأرض ومغاربها صرح بها في الأبيات التالية:

مَشَت في الثَرى أَنباؤُها فَتَساءَلَت ∴ مَشارِقُهُ عَن أَمرِها وَمَغارِبُه

وَكاثَرَ في البَرِّ الحَصى مَن يَجوبُهُ ∴ وَكاثَرَ مَوجَ البَحرِ راكِبُه

إِلى مَوكِبٍ لَم تُخرِجِ الأَرضُ مِثلَهُ ∴ وَلَن يَتَهادى فَوقَها ما يُقارِبُه

يواصل شوقي التفصيل في وصف هذا الحفل مؤثراً الفعل الماضي في قوله: (مشت في الثرى أنباؤها) فشبه الأنباء في قدرتها على التحرك والانتشار بالإنسان ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه (مشت) على سبيل الاستعارة المكنية.

وإذا كانت الاستعارة المكنية جعلت من الأخبار جسداً يسير إلا أنها لم تكتف بهذا بل أخذت الاستعارة بالحرف تحت جناحيها فقد استعان أمير

الشعراء بالحرف (في) الذي يفيد التمكن بدلاً من الحرف (على) الذي يفيد الاستعلاء وهو استعارة بالحرف[١]؛ إذ المشي يكون على الأرض وليس فيها ولكن الشاعر أراد تعمق الأنباء وتمكنها في الوصول إلى كافة البقاع ليتناسب مع قوله:(فتساءلت مشارقه عن أمرها ومغاربه)؛ إذ المشارق والمغارب لا يعقل منها التساؤل إنما نبع من أهل هذا الأماكن تأثراً بالبلاغة القرآنية في قوله تعالى:" واسأل القرية التي كنا فيها" ففيه مجاز مرسل علاقته المحلية [٢].

انتقل بنا أمير الشعراء عن تساؤل المغرب والمشرق عن أمر هذا الحفل متناسياً أمر البشر ليصل بالقارئ إلى تصور المبالغة في إعداد هذا الحفل ح فجعل المشي للأنباء والتساؤل لمشارق الثرى ومغاربه والمقصود بالثرى هنا الأرض.

وقد كان للتعبير باسم الفاعل قيمته البلاغية في قوله: (وكاثر في البر الحصى من يجوبه) وكما استخدمها في جانب البر استخدمها كذلك في جانب البحر فقال:(وكاثر موج البحر في البحر راكبه) وهي تفيد التفاعل بين أمرين وهو ما أراده الشاعر مستعيناً بالتشبيه الضمني؛ فجعل المنافسة في البر بين الحصى وبين من يجوبه – المتجهين إلى الحفل أو إلى العيد كما عبر الشاعر– فأراد أن يشبه المتجهين إلى الحفل بالحصى لبيان كثرتهم لكن هذه الصورة لم تشف غلته ولم تؤدي ما أراد من مبالغة في عدد

---

(١) الاستعارة بالحرف: هي : أن نلحظ اتخاذ الحرف معنى غير معناه الأصلي. المفصل في علوم البلاغة، صـ ٤٧٨. مرجع سابق.

(٢) المحلية هي: كون المعنى الوضعي للفظ المذكور محلاً للمعنى المجازي. المفصل في علوم البلاغة، صـ ٥٠٥. مرجع سابق.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الحضور فجعل منافسة قائمة بين عدد الأحياء وبين الحصى وكان النصر فيها والتفوق لأعداد البشر؛ فعدد المتجهين لحضور الحفل فاق عدد الحصى الذى ساروا عليه.

ولم يقف الأمر على حد البر بل تعداه إلى البحر وكانت نفس المنافسة وتحققت نفس النتيجة، وبهذا جمع الشاعر كل الطرق المؤدية إلى الحفل براً وبحراً؛ ليصل بنا إلى حجم هذه الوفود ليضعنا في المعنى الحقيقي الذى آلت إليه الكارثة.

ويطالعنا شوقي بحرف الجر (إلى) التي تفيد انتهاء الغاية؛ فهذه الجموع التي فاقت حصى الأرض وكاثرت موج البحر كان هدفها وقبلتها موكب لم تُخرج الأرض مثله –موكب تولي الملك إدوارد الحكم وتتويجه – ولعظم هذا الموكب أسند الشاعر الفعل (تُخرج) إلى الأرض وهو مجاز مرسل علاقته السببية؛ فالأرض هي السبب في وجود الإنسان وقد قال تعالى: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ [1]؛ وللمجاز في هذا الموضع بلاغة أرادها الشاعر؛ فلم يسند الحفل إلى ملك بريطانيا وإنما أسنده إلى الأرض ليبين حقيقة الإنسان وأن مرده مهما كانت قوته ومهما عظم شأنه إلى تلك الأرض التي يطأها بقدمية فيقظ القارئ إلى حقيقة ذاته ويهيئه لتقبل ما يحل به.

وهذا البيت اتكأ على التشبيه بالنفي في قوله: (لم تخرج الأرض مثله ولن يتهادى فوقه ما يقاربه)؛ ففي البداية نفى وجود المثل لهذا الموكب؛ فلم تُخرج الأرض موكب مثل هذا الموكب الذى شيد من أجل تتويج الملك إدوارد

---

(١) سورة طه: ٥٥

وكأن شوقي يقطع كل السبل على قارئه؛ فيتقمس دور القارئ ويرى أنه قد يعتقد البعض أنه قد مر عليها عبر العصور موكب يقارب هذا الموكب يتهادى عليها [١] فينفي وجود هذه المقاربة، وبهذا فقد نفي شوقي المماثلة ولم يقتصر على هذا بل نفي المقاربة أيضا؛ لذا نجده يعتمد على أداتي النفي (لم، ولن) التي لا تدخل إلا على الفعل المضارع [٢] فتأتى (لم) لنفي الحدث في الماضي وأتت مع النفي في الماضي، وتأتي (لن) لنفي الحدث في المستقبل وأتت مع نفي المقاربة، وإذا كانت هذه الصورة من باب المبالغات لكنها مبالغة محمودة من شوقي أراد بها تصوير فخامة الاعدادات التي تمت فهو من عاصرها وقرأ وسمع عنها وجال بخيالية ليرسم لنا صورة حقيقة لما دار في هذا الحفل، ينتقل بنا إلى أرض الواقع لنتجول معاً بخيالنا بين الماضي والحاضر؛ لنرى ما كان ولا يمكن أن يكون كل هذا ببراعته في اختيار ألفاظه وانتقاء عباراته وصدق رسالته التي أراد إيصالها إلى القارئ.

ونرى الطباق المعنوي بين (تُخرج الأرض) وبين (يتهادى فوقها)؛ فما في باطن الأرض وما فوقها يقر بعدم وجود مثيل أو مقارب لفخامة هذا الحفل فهل يوجد بعد هذا منكر على شوقي أو رافض لما يخبر به ؟ ويواصل الشاعر وصف الموكب قائلاً:

إذا سارَ فيهِ سارَتِ الناسُ خَلفَهُ ∴ وَشَدَّت مَغاويرَ المُلوكِ رَكائِبُه

تُحيطُ بِهِ كَالنَملِ في البَرِّ خَيلُهُ ∴ وَتَملَأُ آفاقَ البِحارِ مَراكِبُه

(١) يتهادى : يمشي مشياً غير قوي متمايلاً. الشوقيات، الجزء الأول، صـ ٦٥

(٢) ينظر الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن السراج النحوي، الجزء الثاني، صـ ٢٣٥

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وما زال شوقي مؤثرا الأسلوب الخبري لنرى إذا الشرطية الداخلة على الفعل الماضي في قوله(إذا سار)لإفادة تحقق الوقوع، ثم حذف المسند إليه لتعظيمه؛ فإذا سار الملك فيهم تقدمهم وسارت الناس خلفه بل الملوك؛ فهو ليس بالضعيف وإنما مغوار متقدم على من مثله في الشجاعة، مما يجعل الملوك توثق ركابها وتسير خلفه خاصة عند لقاء العدو.

ونرى براعة التشبيه في البيت السادس عشر؛ فيجعل هؤلاء الملوك محيطين به في البر ممتطين خيلهم وهم في كثرتهم ونظامهم كالنمل. ومن الملاحظ أن الشاعر أثر صيغة الإفراد في قوله:(خيله)، ولم يسندها إلى ضمير الجمع فيقول (خيلهم) وكأنهم باتباعهم له وقناعتهم به كقائد أصبحوا من جملة خيله وفرسانه.

هذا فضلاً عن أسلوب التفات من الفعل الماضي في (وشدت) إلى المضارع (تحيط) ففي الحالة الأولى-الماضي- أراد بيان سرعة الاستجابة نتيجة للثقة المطلقة، وفي الحالة الثانية – المضارع- أن الشاعر أن ينقلنا إلى حالة التأهب المستمر والاستعداد الدائم؛ لذا أثر نفس صيغة المضارع في قوله:(وتملأ آفاق البحار مراكبه)؛ فالآفاق جمع أفق وهو خط دائري يرى فيه المشاهد السماء كأنها ملتقية بالأرض، ويبدو متعرجاً على اليابس ومكوناً دائرة كاملة على الماء [١].

ولنتأمل تلك الصورة البلاغية التي تجعل سفنه تحيط بالبحار مؤثر صيغة الجمع في لفظ (البحار) وكذلك اختياره للفظ (آفاق) لبيان حجم هذا الأسطول البحري المترامي والممتد عبر لبحار.

---

(١) المعاني : https://www.almaany.com/.

نِظامُ المَجالي وَالمَواكِبِ حَلَّهُ ∴ زَمانٌ وَشيكٌ رَيبُهُ وَنَوائِبُه

وبعد وصفه لعظمة ملك إدوارد يمهد شاعرنا للحديث عن المفاجأة التي دمرت كافة التجهيزات ، فهذا النظام وتلك الطريقة التي اعتادها الملوك في تقليدهم الحكم من مواكب واحتفالات حلَه زمان اقتربت فيه المصائب والحوادث على الوقوع.

ويؤثر الشاعر صيغة الجمع في (المواكب) و(نوائبه) هذا الأسلوب المتوج بالطباق وما يحمله من موسيقى داخلية تحمل في طياتها قدرة خفية تجعل القارئ يتنبأ بأن أمراً جلل فاق قدرة البشر قد حدث.

وفي قول أمير الشعراء: (نظام المجالي والمواكب)؛ قد شبه الشاعر النظام الذي قام عليه الحفل بذلك الخيط الذي ينظم به اللؤلؤ ثم استعار الخيط الذي ينظم عليه اللؤلؤ للترتيب والتنظيم الذي سار عليه الموكب على طريق الاستعارة التصريحية، وتكمن بلاغة الاستعارة فيما أضفته على المعنى من ظلال تحمل في ثناياها بريقاً ولمعان لشكل منتظم ومتألق تطوق إليه النفس.

وإذا بتركيب أخر من شوقي غاية في الجمال يحير القارئ في إدراك حقيقته والوصول إلى معرفة سره في قوله:(حله زمان) هل الزمان أهل للحل والإبرام؟ أين ذوي العقول من هذه الأمور؟ وبعد التأمل للإجابة على هذا التساؤل وُجد أن هذه الصياغة من شوقي تحمل أكثر من معني؛ فقد يكون الكلام على سبيل الاستعارة المكنية؛ فشوقي أراد المبالغة في تصوير المعنى؛ فالجميع يسلم بأن الزمان هو الذي لا يستطيع قهره أحد من البشر؛ لذا أسند حل هذه المواكب له تشبيها له بالإنسان الذي يملك زمام الأمور

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ويملك الحل والعقد فيها. وقد يحمل اللفظ على المجاز المرسل؛ إذ الزمان كان السبب في تبدل الأحوال.

فَبَينا سَبيلُ القَومِ أَمنٌ إِلى المُنى ∴ إِذا هُوَ خَوفٌ في الظُنونِ مَذاهِبُه

ففي هذا البيت نرى عنصر المفاجأة متمثلاً في قول شوقي:(فبينا سبيل القوم أمن....إذا هو خوف)؛ فبينا ظرف زمان للمفاجأة مثلها مثل بينما تحتاج إلى جواب يتم به المعنى وجوابها (إذا هو خوف) وينثر شوقي درره البديعية في ثنايا ألفاظه؛ لنرى جمال الطباق بين لفظي (أمن)، و(خوف) جامعاً الشيء وضده في وقت واحد، وقد كان لظرف الزمان – بينا – أثره في إدراك هذه المعاني؛ فما أصعب اللحظات التي تجمع بين الخوف والأمن، وما أقساها وأشدها على النفس إذا عقب الأمن خوفاً حتى ولو في حالة الظن أو الشك فمثل تلك الأمور تجعل عقل الإنسان يذهب كل مذهب ويسلك شتى الطرق.

إِذا جَاءَتِ الأَعيادُ في كُلِّ مَسمَعٍ ∴ تَجوبُ الثَرى شَرقاً وَاغتَرباً جَوائِبُه

رَجاءٌ فَلَم يَلبُث فَخَوفٌ فَلَم يَدُم ∴ سَلِ الدَهرَ أَيُّ الحادِثَينِ عَجائِبُه

فيا لَيتَ شِعري أَينَ كانَت جُنودُهُ ∴ وَكَيفَ تَراخَت في الفِداءِ قَواضِبُه

فيؤثر التعبير ب" إذا" الشرطية الداخلة على الفعل الماضي في قوله(إِذا جَاءَتِ الأَعيادُ) ؛ لإفادة تحقق الوقوع مؤثراً أسلوب الجمع في لفظ (الأعياد) وأثر الاستعارة المكنية في قوله (جاءت الأعياد)؛ فشبه الأعياد بإنسان يُتصور منه مجيء، وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو (جاءت) على سبيل الاستعارة المكنية؛ وتكمن جمال الاستعارة في تشخيص الجماد فأضفى على الأعياد صفات الأحياء، فهل الاستجابة لحضور هذه

الأعياد هي من تقطع الأرض شرقاً وغرباً لتلبية النـــداء؟ هــذه المعنويــات أخذت صورة المحسوسات؛ فبمجرد السماع كانت التلبية بالحضور.

ويتوغل شوقي داخل النفس البشرية واصفاً ما حل بها مــن الرجــاء الذي لم يمكث والخوف الذي لم يدم؛ وآثر الفاء التي تفيد الترتيب والتعقيب (فلم يلبث، فخوف فلم يدم)، فالأمر كله أتى وفق القدر مرتباً بصورة تثيــر النفس البشرية تجعل الإنسان يخر ساجداً لله – سبحانه وتعالى – وقد قــال شاعرنا سابقا: (وما في حساب الله ما هو حاسبه)، وهنا وقفة بديعية مــن شوقي وانتقال بارع من بيان حالة النفس البشرية إلى ما هو خارج دائــرة تحكم الإنسان ذلك الشيء الذي في قبضة الرحمن ألا وهــو الــدهر طالبــاً الوقوف لسؤال الدهر (سل الدهر أي الحادثين عجائبه) يقصــد بالحــادثين: الحدث الأول: تولية الملك إدوارد الحكم، والثاني: إصابته بالمرض.

والسؤال هنا ليس على حقيقته؛ فالدهر ليس ممن يتوقع منه إجابة؛ إذ السؤال هنا تقريري؛ يجعل السامع يقر بأن الأمرين ليس للإنسان دخل بهما وإنما مردهما إلى القدر.

ثم يتبع الاستفهام بالتمني في بيته الحادي والعشرين قائلاً (فيــا ليــت شعري)، منوعاً في أساليبه الإنشائية بين الاستفهام والتمني، وفيهمــا مــن لبلاغة ما ينبه السامع، ويستخرج كمائن نفسه وطاقاتهــا، ويبعــث دفــائن الأحاسيس والمشاعر لدى المتكلم فنراه متكئاً على الاستفهام الإنكاري فــي قوله: (أين كانت جنوده؟ وكيف تراخت في الفداء قواضبه)؛ فهؤلاء الجنود وتلك السيوف لم تعهد التراخي في الزود عنه، ولكن ما حــدث لــيس فــي مقدور إنسان الوقوف أمامه؛ لأنه فعل القدر.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وَرُدَّت عَلى أَعقابِهِنَّ سَـفينُهُ ∴ وَما رَدَّها في البَحرِ يَوماً مُحارِبُه

وَكَيفَ أَفاتَتهُ الحَوادِثُ طِلبَةً ∴ وَما عَوَّدتَهُ أَن تَـفـوتَ رَغائِبُه

وفي قوله: (وردت على أعقابهن[1] سفينه) تصلح لأنه تكون مثلاً يضرب عند خيبة الأمل، وفيه استعارة تمثيليه، وقد توجت الاستعارة بالمجاز المرسل في قوله: (سفينه) أي هذه السفينة أو من فيها على غرار قوله تعالى: ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ ﴾ [2].

ودوران المعني في فلك المجاز منوعاً بين المجاز المرسل والاستعارة التمثيلية أكسبه جمالاً ومبالغة ودقة في التعبير، ومما زاد المعنى جمالاً كون هذه الهزيمة دون معارك وقد كانت لهذا البطل الذي لم ينتصر عليه أعدائه يوما ما.

وقد لجأ الشاعر إلى طباق السلب بين قوله (ردت) وقوله: (وما ردها)؛ لينطلق بأفاق السامع إلى تصور حجم هذا الكارثة التي أحلت بحاكم لم يستطيع أي من أعدائه هزيمته.

وينطلق شوقي إلى الاستفهام التعجبي في قوله:(وكيف أفاتته الحوادث) مستعيناً بهمزة التعدية وتأتى لحظة الإفاقة والتسليم والإقرار بحقيقة مرد الأمور فيقول:

لَكَ المُلكُ يا مَن خَصَّ بِالعِزِّ ذاتَهُ ∴ وَمَن فَوقَ آرابَ المُلوكِ مَآرِبُه

فَلا عَرشَ إِلّا أَنتَ وارِثُ عِزِّهِ ∴ وَلا تاجَ إِلّا أَنتَ بِالحَقِّ كاسِبُه

---

(١) العقب : مؤخرة القدم.

(٢) سورة العلق: ١٧

وَآمَنتُ بِالعِلمِ الَّذي أَنتَ نورُهُ ∴ وَمِنكَ أَيادِيهِ وَمِنكَ مَناقِبُه

نري أن الشاعر استعان بكل الصور السابقة وما اتكأ عليه من أساليب مختلفة؛ ليبين ضعف البشر وليجعل القارئ يقر ويسلم بما وصلت إليه نفسه الإيمانية متمثلاً في أسلوب القصر عن طريق التقديم في قوله: (لك الملك يا من عز بالملك ذاته)؛ فيسلك شوقي الطريق إلي الله؛ فالملك لا يكون إلا لخالقه، ويتبع أسلوب القصر بأسلوب النداء مستعيناً بحرف النداء: (يا)، وما تحمله من شحنات معنوية تنطلق من خلالها النفس البشرية لتسبح في ملكوت الخالق الذى لا تحده حدود مصداقاً لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ (١)، يتبعه لفظ (خص) الذي يفيد ويؤدي معنى القصر أي قصر العزة على ذاته وهو مقتبس من قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ (٢).

وهكذا تتوافق الصيغ البلاغية مع المعاني مرة يلجأ إلى أسلوب القصر بإحدى طرقه المعهودة وهو طريق التقديم والأخرى يأتي بمضمون أسلوب القصر عن طريق كلمة تفيد معني القصر.

ولننظر إلى الدقة في اختيار لفظ (ذاته) وما يوحي به من هيمنة لا تصلح إلا للخالق، فتبدوا نفس شوقي الصادقة، وما تحمله من شفافية ظهر ذلك جلياً في اختيار ألفاظه وكيفية التعبير عما يجول بخاطره، وما يدفع به وجانه.

---

(١) سورة الشورى: ١١

(٢) سورة آل عمران: ٢٦

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وإذا نظرنا إلى أسلوب شوقي في الشطر الثاني نري أنه يحتم علينا والوقوف ويُلزمنا التأمل في قوله: (ومن فوق آراب الملك مآربه)؛ فإنه إذا كان الحديث عن رب البشر فحق علينا أن ننسى أمر البشر، فمن هم حتى نضعهم في جهة مقارنة؟ فمن فوق حاجات الملوك تُقضى حوائجه؛ فمن يطلب حاجته من الله قضاها له أسرع من البشر، فمن توجه إلى الله كفاه، ومن توجه إلى عبد من عباده أذله وآذاه.

فمثل تلك المقارنات لا تليق؛ فمن ذلك الملك حتى يقارن بمالك الملك؟

و يواصل شوقي الحديث عن قدرة الله سبحانه وتعالى جاعلاً من أسلوب القصر على مدار بيته دعامة يتكئ عليها ويؤثر أسلوب النفي والاستثناء الذي يعد أقوى طرق القصر بما يحمله من نفي وإثبات.

وفي الشطر الأول (فلا عز إلا أنت وارث عزه) إثبات صفة العزة لله، وفيه كناية عن صفة الخلود.

ويوضح أمير الشعراء مدى إيمانه بالعلم الذي هو نور من الله، ونعمة منه.

وإذا كنا كثيراً ما نبحث عن الأساليب البلاغية وخفايا المعاني في فلك المجاز، نرى شاعرنا يؤثر الأسلوب الحقيقي حينما صرح بالعلم؛ فجعل العلم قبس من نور الله – سبحانه وتعالى– وقد قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٨٢﴾ (١)، فههنا نري الحقيقة اللغوية أبلغ من أي مجاز؛ فكثير من حقائق الأمور لا نحتاج في صياغتها إلى المجاز، وإذا لجئنا فيه إلى المجاز ضاع المعنى، وفقدنا تذوقه.

(١) سورة البقرة: ٢٨٢.

ولنتأمل جمال الصياغة ورشاقة المعاني في قول شوقي: (ومنك أياديه ومنك مناقبه)، فما يعود على الإنسان من نعم ومناقب حسنة كلها من عند الله –سبحانه وتعالى –، وقد جعل الشاعر للعلم أيادٍ على سبيل الاستعارة المكنية؛ فنرى تجسيم تلك المعاني وإضفاء صفات الأحياء عليها ولم يتوقف الأمر على جعل الأيادي التي هي كناية عن العطاء للعلم فحسب بل أضاف إليه المناقب في قوله: (ومنك أياديه ومنك مناقبه) إذن العلم ليس مجرد معنى من المعاني بل هو كائن حي يجسد صفة العطاء، وكل ما ينطوي تحت الأفعال الطيبة التي تجلب المدح لصاحبها؛ ونظرة شوقي هذا لم تتوقف على ظاهر المعاني بل انسحبت على الآثار المترتبة على هذه المعاني من عطاء ومدح.

آثر الشاعر لفظ الإيمان في صدر البيت في قوله: (وآمنت) لما يتعلق بهذا اللفظ من إيحاء بعقيدة قوية فالفرق بين الإسلام والإيمان بين فكل مؤمن مسلم وليس العكس مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ (١).

تُؤامِنُ مِن خَوفٍ بِهِ كُلُّ غـــالِبٍ ∴ عَلى أَمرِهِ في الأَرضِ وَالداءُ غالِبُه

سَلوا صاحِبَ المُلكَينِ هَل مَلَكَ القُوى ∴ وَأُسدُ الشَرى تَعنـــو لَهُ وَتُحارِبُه

وفي هذه الأبيات يتحدث شوقي عن فائدة العلم وأثره في إكساب الخائف المغلوب على أمره للأمن.

(١) سورة الحجرات: ١٤.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وقدم (من خوف) على الجار والمجرور (به)؛ لكون الأمن للخائف أهم.

وينتقل في البيت الثامن والعشرون إلى الأسلوب الإنشائي متمثلاً في الاستفهام في قوله: (سلو صاحب الملكين) وتوج هذا الاستفهام بالكناية عن موصف هو الملك إدوارد ملك بريطانيا، والملكين يقصد بهما: " خلط الكثير بين مفهوم المملكة المتحدة ومسمّيات بعض الدُّول مثل بريطانيا وإنجلترا، ويُعدُّ هذا الخلطُ واحداً من أكثر الأخطاء شيوعاً بين النّاس حين يتمّ الحديث عن الجغرافيا. إنّ المملكة المُتّحدة هي بلدٌ عظمى تحتوي على عدة دولٍ بداخلها، وهي: إنجلترا، اسكتلندا، ويلز، وإيرلندا الشماليّة، والاسم الرّسمي لها هو المملكة المتحدة.

بريطانيا العظمى: وهي إحدى المملكتين في المملكة وتتكون من مجموعة من الدول، وتعد أكبر الجزر التي تضمها المملكة المتحدة؛ حيث تشكل المساحة الأكبر منها كما أنها كانت قديماً دولة قوية.....، وانجلترا: تعد إنجلترا الدولة الأكبر في بريطانيا والمملكة المتحدة، وعاصمتها لندن ويحدها من الشمال استكلندا ومن الغرب ويلز [١].

لذا أطلق عليه شوقي (صاحب الملكين)، ثم يطالعنا بأداة الاستفهام (هل) التي تفيد التصديق فيتردد الجواب بين أمرين هما الإثبات أو النفي.

وَهَل رَفَعَ الداءَ العُضالَ وَزيرُهُ ∴ وَهَل حَجَبَ البابَ المُمَنَّعَ حاجِبُه

وَهَل قَدَّمَت إِلّا دُعاةً شُعوبُهُ ∴ وَساعَفَ إِلّا بِالصَلاةِ أَقارِبُه

ويتتابع أسلوب الاستفهام بهل مبتدأ بقوله: (هل ملك القوى وأسد الشرى تعنوا له وتحاربه).

---

(١) ينظر : https://mawdoo3.com

ويجعل شاعرنا الحال هي الناطقة بالإجابة عن هذه التساؤلات، ودلالة الحال هذه خرجت بالاستفهام عن حقيقته إلى إحدى المعاني المجازية وهو النفي؛ فلم يمنع عنه المرض مانع ولم يحجبه ملكه ولنتأمل قول شوقي:

واصلت (هل) دورها المجازي فهي استفهامية بمعنى النفي بدليل ورود أداة الاستثناء بعدها؛ فأداة الاستفهام هذه سارت في فلك أسلوب القصر وطريقه النفي والاستثناء ولعل شاعرنا نظر وتأمل في نفسه أي الأساليب البلاغية قادر على إخراج مكنونات ذاته وما بداخلها من شحنة إيمانية؟ فلم يجد ضالته سوى في أسلوب القصر فاتكأ على أسلوب القصر على مدار هذا البيت معتمداً على النفي والاستثناء. ويؤثر تقديم المفعول به في قوله: (دُعاةً شُعوبُهُ)؛ لكون الدعاء للمريض أهم، فهو في أمس الحاجة إليه، كما أنه يحمل حب شعبه له، وكذلك الشأن في قوله:(بِالصَلاةِ أَقارِبُه)، والمعنى في التركيبين يعكس حب القاصي والداني؛ فالدعاء كان من قبل الشعوب امة والصلاة كانت من قبل الأقارب خاصة.

وإذا كانت الصلاة بمعنى الدعاء لكن شاعرنا هنا أراد ملمح دقيق وهو أن الدعاء يؤدي في كل مكان وعلى أية حال، بخلاف الصلاة، كما أنها صلة بين العبد وربه، وفيها ركن من الأركان؛ فقد روي عن أبي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – قال أَقْرَبُ ما يَكُونُ الْعَبْدُ من رَبِّهِ وهو سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ [1]؛ لذا جعل الدعاء للعامة والصلاة للأقارب.

هُنالِكَ كانَ العِلمُ يُبلي بَلاءَهُ ∴ وَكانَ سِلاحُ النَفسِ تُغني تَجارِبُه

(١) صحيح مسلم، تأليف: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الجزء الأول، صـ ٣٥٠.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

كَريمُ الظُبا لا يَقرَبُ الشَرَّ حَدُّهُ ∴ وَفي غَـــيرِهِ شَرُّ الوَرى وَمَعاطِبُه

ويستهل شوقي بيته باسم الإشارة:(هُنالِكَ كانَ العــلِمُ) للإشارة للبعيد تبعتها كان التي تدل على الماضي، ملتفتاً من الماضي إلى المضارع في لفظ: (يبلي)؛ فالعلم قائم لا جدال في أمره بينما نتائجه قيد التحقق؛ فهو المتجدد عبر الأزمنة، وحذف المسند إليه في الشطر الثاني؛ لتقدم ذكره في الشــطر الأول؛ فقد كان العلم سلاح النفس الذي تغني تجاربه واختباراته فــي هــذا المجال.

ويصف شوقي العلم بأنه: "(كريم الظبا) من إضافة الصفة للموصوف: أي الظبا الكريمة، والظبا جمع ظبة، وهي حد السيف أو الســنان أو نحــو ذلك، والمراد السيف أو نحوه ليستقيم المعنى، فيكون مجازاً من إطلاق اسم الجزء على الكل " (١).

وفي لفظ (حده) استعارة مكنية؛ فقد شبه العلــم بالســيف، وحــذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه علــى ســبيل الاســتعارة المكنيــة التجسيمية.

وفي الشطر الثاني من البيت تعريض بغير العلم كالجهل، الذي فيه شر للخلق وهلاكهم.

إذا مَرَّ نَحوَ المَرءِ كانَ حَيــاتَهُ ∴ كَإِصبَعِ عيسى نَحوَ مَيتٍ يُخاطِبُه

وَأَيسَرُ مِن جُرحِ الصُدودِ فِعالُهُ ∴ وَأَسهَلُ مِن سَيفِ اللِحاظِ مَضارِبُه

(١) ديوان شوقي، ص ٦٧، مرجع سابق.

وتطالعنا (إذ) الظرفية الداخلة على الفعل الماضي (مرَّ) " لدلالته على الوقوع والحصول قطعاً"[١] ونلحظ لفظ (نحو) وما يوحي به من مجرد القرب؛ فهو بمعنى ناحية؛ إذاً بمجرد القرب تحصل الفائدة، ولنتأمل لفظ (مر) وما يوحي به من حياة للعلم؛ فجعل للعلم مروراً؛ وهكذا خلع عليه صفات الأحياء مشخصاً له؛ فقد شبه العلم بإنسان ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشئ من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية التشخصية ويلتف البيت بعباءة التشبيه، فيدور التشبيه في فلك الاستعارة، وتؤدي الاستعارة دورها مع التشبيه، فيتعاضدا معاً لإخراج معن مؤثر قوى؛ فيشبه الشاعر هيئة العلم حينما يمر بإنسان فيكون سبباً في تمتعه بالحياة بهيئة سيدنا عيسى – عليه السلام– ومعجزته في احياء الموتى بمجرد الإشارة نحوه ومخاطبته إياه –بمشيئة الله تعالى– ووجه الشبه: هيئة الحياة الصحيحة المترتبة على أشياء معينة.

وما زال وصف العلم قائماً نراه في قوله) وَأَيسَرُ مِن جُرحِ الصُدودِ فِعالُهُ) ؛ فيصف العلم بأن فعاله أيسر من جرح الصدور، وضربه أسهل من سيف اللحاظ، وفيه إشارة إلى البيت الذي يليه؛ عن طريق عقد موازنة بين الآلام المعنوية والآلام الحسية جاعلاً من الآلام الحسية التي تنتج عن آثر استخدام العلم أخف من الآلام المعنوية التي يخلفها جُرح الصدود، وضرب سيف اللحاظ.

وقد أراد الشاعر أن يُتابع معانيه بأسلوب بياني متكأ على التشبيه، ولكنه تدبر الأمر وعاود النظر فوجد أن التشبيه بصورته المعهودة لا يصلح

(١) المفصل في علوم البلاغة – صـ ١٩٥، مرجع سابق.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

لأداء المعنى، فلمح بالتشبيه عن طريق التشبيه الضمني [١]، فشبه ما يتركه العلم من أثر متمثلاً في علم الطب وما يخلفه من جراح بجرح الصدود وما يتركه من ألم معنوي، ثم تأمل فوجد أن الألم المعنوي أقوى وأشد تأثيراً من الألم الحسي الذي يتركه مشرط الطبيب فعبر بلفظ (وأيسر) مفاضلاً بينهما مُفضلاً الألم الحسي، ومما زاد التشبيه جمالاً دوران الكناية في فلكه؛ فكنى عن الألم المعنوي (بجرح الصدود) وهو كناية عن صفة الإعراض، وتابع الشاعر مفاضلته في الشطر الثاني من البيت جاعلاً ما يفعله مشرط الطبيب أسهل مما يفعله أو يوقعه سيف اللحاظ من وجع وألم للقلب، سائراً على منهجه في الشطر الأول من؛ فقد اعتمد على التشبيه الضمني المعضد بالأسلوب الكنائي (فسيف اللحاظ) كناية عن نظرة المحبوب. كل هذا ليلمح إلى أن أثر الألم الذي حل بملك بريطانيا بسبب إلغاء الحفل كان أكثر ضراوة على نفسه من ألم مرضه.

عَجيبٌ يُرَجّى مِشرَطاً أَو يَهابُهُ ∴ مَنِ الغَربُ راجيهِ مَنِ الشَرقُ هائِبُه
فَلَو تُفتَدى بِالبيضِ وَالسُمرِ فِديَةٌ ∴ لَأَلقَت قَناها في البِلادِ كَتائِبُه
وَلَو أَنَّ فَوقَ العِلمِ تاجاً لَتَوَّجوا ∴ طَبيباً لَهُ بِالأَمسِ كانَ يُصاحِبُه
فَآمَنتُ بِاللَهِ الَّذي عَزَّ شَأنُهُ ∴ وَآمَنتُ بِالعِلمِ الَّذي عَزَّ طالِبُه

يستهل أبياته بلهجة تعجبية (عجيب) "وهي صفة لموصوف مقدر أي أمر عجيب"[٢]، وقد اعتمد هذا البيت على أسلوب الطباق بين (المشرق)

(١) التشبيه الضمني هو: ما يلمح من المعنى لمحاً، ويؤتي للدلالة على أن الأمر الذي أسند إليه المشبه ممكن ومعقول. علم البيان، د. عبد الفتاح لاشين، طبعة دار المعارف، صـ١٠٣.

(٢) ديوان شوقي، صـ ٦٧ .

و(المغرب) طباق أفاد عموم المعنى وتوضيحه، وبين (يهابه) و(يُرجي) طباق وضح المعنى وكما قيل: " بضدها تتضح الأشياء"

وبعد سرده للأحداث يعقب بالفاء التي تفيد الترتيب والتعقيب تتبعها لو الشرطية في قوله:(فلو تفتدي)؛ فدخلت لو الشرطية على الفعل المضارع لاستحضار الصورة عند المخاطب؛ فلو تفتدي أيها الملك بالبيض والسمر كناية عن السيوف والرماح لألقت قناها أي (رماحها) في البلاد جيوشه مجتمعة.

و(لو) حرف امتناع لامتناع؛ إذاً الأمر كله فوق الطاقة، وليس في المقدور، ولم تستطعه جيوشه مجتمعة، فلا راد لقضاء الله.

وتواصل (لو) طاقاتها التعبيرية في قوله (وَلَو أَنَّ فَوقَ العِلمِ تاجاً) ؛ مبيناً من خلالها قيمة العلم وقدر أهله؛ فلو أن فوق العلم تاجاً لتوجوا طبيباً له كان بالأمس يصاحبه، ومعنى هذا أنه لا يوجد تاج أعلى من تاج العلم، وعلى افتراض وجود تاج أعلى من تاج العلم لتوج به طبيبه الذي صاحبه وكان سبباً في شفائه، وعلى كل فلم يستحق أن يرتقي ويتوج سوى العلم. هذا هو رأي شوقي الذي تنوعت معارفه، ويتوافق هذا المعنى مع ما افتتح به قصيدته وما يختمها به.

يختتم قصيدة بعقيدة صحيحة، وهي إقراره بإيمانه بالله – سبحانه وتعالى– الذي عز شأنه، وإيمانه بالعلم الذي عز وقوي طالبه ومحصله.

فيجمع بين الإيمان بالله، والإيمان بالعلم في بيت واحد، ونحن نعلم أن إيمان العالم ليس كإيمان غيره؛ لذا اتخذ شوقي من الأساليب الخبرية وسيلة لترسيخ فكرته، فهذا الواقع يؤكد صحة وحقيقة ما أخبر به شوقي.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المبحث الثاني

موازنات بين شوقي وغيره من الشعراء

الموازنة بين المعاني أداة فعالة لرصد نقاط القوة والضعف، والوقوف على جمال الصياغة وقوة الخيال؛ فلكل شاعر نظراته الخاصة للأشياء تختلف عن نظرة الأخرين، وتكم الفروق في كيفية التعبير عن تلك الأشياء واختيار الصياغة الأكثر تأثيراً؛ على أثرها يجد تعاطفاً من القارئ وانسجاماً معه ولم تكن الموازنات فناً جديداً بل رأينا الآمدي يضع الأسس والقواعد للموازنة فيقول:" ثم أوازن من شعريهما بين قصيدتين إذا اتفقتا في الوزن والقافية وإعراب القافية. ثم بين معنى ومعنى فإن محاسنهما تظهر وتنكشف"(١)، وفيما يلي سيتناول البحث بعض المعاني المتفقة بين شوقي وغيره من الشعراء. ودارات الموازنات في مجملها عن قيمة العلم ومكانته على مر العصور فلا يستطيع أحد إنكار فضله أو غض الطرف عن مزيته. وما كان يحدث في بعض الأزمنة من إنكار للعلماء وبخسهم حقهم؛ فما كان ذلك إلا بهدف تضليل الشعوب وشغلهم عن أمور الحكم؛ لذا كان للعلم في كل عصر من العصور سمت معين، فكلما عظمت الدولة وكان لها دورها ومكانتها كان للعلماء فيها منزلة؛ فالحكام الأقوياء ينزلون أهل العلم منازلهم ويجلونهم ويرفعون من شأنهم؛ لأنهم يعلمون أنه للحفاظ على دولتهم قوية لابد من الحفاظ على العلم وخاصة؛ لذا سنجد أشعاراً متنوعة للشعراء في

(١) الموازنة بين أبي تمام حبيب بن أوس الطائي (ت ٢٣١هـ)، وأبي عبادة الوليد بن عبيد البحتري الطائي (ت٢٣٤هـ)، للأمام النقادة أبي القاسم الحسن بن بشر بن يحي الآمدي البصري (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العلمية، بيروت – لبنان، صـ ٢٣٠.

الموازنات الآتية، وإن اختلفت القيم المعنوية التي تحملها العبارات في التعبير عن العلم ومكانته، كل يعبر عن زمانه إلا أن الأساليب التعبيرية حملت القارئ على دراسة النص وتأمله للوصول إلى ما وراءه، تارة بالنظر إلى النص على جهة العموم وتارة بتأمل ألفاظه ودلالتها داخل السياق، وإيثار مفردة على أخرى لما تحمله من معنى يعبر عما يجول في نفس الشاعر .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المطلب الأول

الموازنة فى حسن العواقب

- قال شوقي:

وَلَو أَنَّ فَوقَ العِلمِ تاجاً لَتَوَّجوا ∴ طَبيباً لَهُ بِالأَمسِ كانَ يُصاحِبُه

- ونرى الشاعر جرمانوس الشمالي[١] في قصيدته التي مطلعها" العز بالعلم في من زانهُ العملُ" وهي من بحر البسيط يقول فيها:

كُن عالماً تغتنم حُسن العَواقب إذ ∴ بالعلم مُذ ارخوهُ الغنمُ وَالجذلُ[٢]

أولاً: شوقي:

المتأمل في التعبيرين يلحظ وحدة المعنى فكل منهما يعبر عن مكانة العلم وأهمية بيد أن شوقي تخيير ألفاظاً أكثر عمقا ساقها في عبارات لا تمس القلوب فحسب بل تسكنها وتشق طريقها في الوريد لتنشط تلك القلوب الساكنة لتكدح في طلب العلم؛ فلا توجد منزلة أعلى من منزلة العالم ولا

---

(١) هو شاعر لبناني من سهيلة كسروان، تهذب في مدرسة مار عبدا هرهريا الإكليريكية، وبرع في معرفة اللغتين العربية والسريانية، علم هناك مدة عشر سنين بعد كهنوته سنة ١٨٥٥، ثم انضوى إلى جمعية المرسلين اللبنانيين، ثم رقاه البطريرك يوحنا الحاج إلى رئاسة أسقفية حلب، فأخذ اسم جرمانوس ذكراً بنابغة حلب السيد جرمانوس فرحات وقد اشتهر في الآداب العربية حيث ترك مجلدين ضخمين ضمنهما مجموع خطبه وعظاته، وترك ديوانه المسمى (نظم اللآلئ). الكتاب: معجم الشعراء العرب المؤلف: تم جمعه من موقع الموسوعة الشعرية [الكتاب مرقم آليا وهو ضمن خدمة التراجم] ص ١٠٥٧.
https://al-maktaba.org/book/2114

(٢) جَذِلَ العَرِيسُ فِي لَيْلَةِ عُرْسِهِ : فَرِحَ، و فلان جِذْلُ إبِل أَو غنم: يُحْسن رِعْيَتَها والقيامَ بأَمره. https://www.almaany.com.

يوجد تاجاً يفوق العلم؛ فلو كان للعلم تاج لاستحق هذا التاج ذلك الطبيب؛ لما له من منزلة ومكانة عظيمة، ونرى جميل التشخيص في قول شوقي " ولَــو أَنَّ فَوقَ العِلمِ تاجاً"؛ فقد شبه العلم بالسلطان صاحب التاج بكل ما ترمز إليه من معاني القوة والسيطرة وحذف المشبه به وأتى بشيء من لوازمه علــى سبيل الاستعارة المكنية.

كذلك حمل شوقي قارئه على الإقرار بأنه لا سلطان يعلو سلطان العلم، ولو كانت التيجان بالمكانة والمنزلة والمنفعة العامة لاستحق هذا التاج العالم متمثلاً في شخص الطبيب؛ وأصبح طبيب الأمس سلطان اليوم.

ثانياً: جرمانوس الشمالي:

نري في قوله حث على العلم لاغتنام حسن العواقب؛ لأنه بالعلم يغــنم الإنسان ويستطيع القيام بأموره، وإن كان شوقي قد آثر الخبرية في أسلوبه فما ذلك إلا لقوة الجملة الخبرية في أداء المعاني وما تتركه من واقع تحاكيه يستطيع القارئ الرجوع إليه؛ ليتمكن من إصــدار الحكــم علــى العبــارات والتحقق من مدى مصداقيتها.

فإن الشاعر جرمانوس ترك الأمر للإسلوب الإنشــائي؛ فيقــوم مقــام الناصح الواعظ، وهذا ما يتفق وشخصية كرئيس أسقفية حلب.

وعن منزلة العلم وعزته عند الشاعرين:

- قال شوقي:

فَآمَنتُ بِاللهِ الَّذي عَزَّ شَأنُهُ ∴ وَآمَنتُ بِالعِلمِ الَّذي عَزَّ طالِبُه

- وقال: جرمانوس الشمالي:

العز بالعلم في من زانهُ العملُ ∴ وَالذلُّ بالجهلِ في من شانهُ الملُ

العلم يجعل قدر المرء مرتفعاً ∴ بَينَ المَــواكب مَهما دالت الدولُ

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أولاً: شوقي

فقد عرض شوقي ما أراد من معنى بأسلوب موجز جعل القارئ يدور في فلكه ويغوص في بحره، ويجولوا بخياله في صورة ليست مثل باقي الصور من تشبيهات واستعارات وكنايات بل هي تلك الصورة التي تحمل في طياتها الاقتران والاستدعاء؛ فيخبرنا شوقي عن حقيقة كامنة في ذاته تبرزها كلماته وعباراته في كافة منظوماته تلك الحقيقة هي العقيدة الراسخة شوقي وإيمانه الذي لا يستطيع أحد النيل منه، فيخبرنا بإيمانه بالله الذي عز شأنه، ويقرن هذا الإيمان بإيمان أخر وهو إيمانه بالعلم الذي يُعز طالبه؛ فقد وصل الشاعر بين الجملتين لما بينهما من تناسب، وإيمان العالم ليس كإيمان غير العالم حتى ولو كان زاهد.

عرض شوقي هذا المعنى بأسلوب خبري لأنه بمثابة نتيجة لمقدمات تم عرضها عبر القصيدة.

ثانياً: جرمانوس الشمالي:

كذلك اتكأ الشاعر جرمانوس على الأسلوب الخبري، فالعز يكون بالعلم إذا زين بالعمل؛ لأنه بالعلم والعمل تبنى الأمم، والذل يكون بالجهل في ذلك الذي لا يبالي ولا يهتم بشيء.

ويواصل أسلوبه الخبري في البيت الثاني بأن العلم يرفع قدر المرء بين المواكب مهما تغيرت وتحولت وتعاقبت الدول؛ وأسلوب جرمانوس في مجمله حقيقة لغوية، يتناسب ومطلع قصيدته؛ فهي تعبر عن واقع ملموس عبر العصور، كذلك نلحظ الوضوح في الصياغة، وانعدام التجويد في اختيار العبارات والأساليب، فرداء الكاهن لا ينفك عنه حتى حينما نظم الشعر؛ نراه

الناصح لطوائف بعينها، بعيدا كل البعد عن طائفة المثقفين؛ وكأنه يرى أنهم ليسوا في حاجة إلى مثل هذا الخطاب. فالمعاني في مجملها ذات قيمة لا يستطيع أحد إنكارها ولكن الثوب الذي ارتدته لم يكن على نفس القيمة والمنزلة لتلك المعاني السامية.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المطلب الثاني

الحديث عن مكانة الطبيب

وعن منزلة ومكانة العلم ودوره في الشفاء من الأسقام والأمراض:

– قال الشاعر إبراهيم الأسطى عمر[١] في عمر المختار في قصيدة مطلعها: " ذكراك تبقى مدى الأيام يا عمر"

أحييت فينا شعورا كاد يقتله ∴ حكم الطغاة فلا عادوا ولا ظفروا

وكنت فينا طبيبا للنفوس إذا ما ∴ مسها الجرح أو ما هدها الكدر

– وقال شوقي:

وَهَل رَفَعَ الداءَ العُضالَ وَزيرُهُ ∴ وَهَل حَجَبَ البابَ المُمَنَّعَ حاجِبُه

وَهَل قَدَّمَت إِلّا دُعاةً شُعوبُهُ ∴ وَساعَفَ إِلّا بِالصَلاةِ أَقارِبُه

– وقاله أحمد محرم[٢] في قصيدته " محمد رسول الله":

اللَّهُ أرسله طبيباً شافياً ∴ للعالَمِ الوَحشيِّ من أسقامِهِ

---

(١) إبراهيم الأسطى عمر شاعر من ليبيا. ولد بدرنة 21) نوفمبر، 1908 26 - سبتمبر، 1950(. جندي من جنود الفكر العربي، هاجر إلى مصر، وسوريا، والعراق، وشرق الأردن، وهناك اتصل بعدد من الأدباء، عاد إلى مدينته درنة. استمر في نشاطه النضالي، ورأس فرع جمعية عمر المختار بدرنة، وأحد الأصوات الشعرية التي نادت بحرية الإنسان. ومن أجل حرية ليبيا حمل السلاح. https://ar.wikipedia.org/wiki/.

(٢) أحمد محرم بن حسن عبد الله. شاعر مصري، حَسَن الرصف، نقيّ الديباجة. تركيّ الأصل أو شركسيّ. ولد في إبيا الحمراء، من قرى الدلنجات بمصر، في شهر (محرم) فسمى أحمد محرَّم. وتلقى مبادئ العلوم، وتثقف على يد أحد الأزهريين. وسكن دمنهور بعد وفاة أبيه، فعاش يتكسب بالنشر والكتابة. https://www.aldiwan.net/.

– ذكر الشاعر إبراهيم في أبياته أمورا يحسها المناضل في ظل حكم الطغاة؛ فنرى الصراع الدائر بين الحياة والموت متمثلاً في قوله: " أحييت فينا شعورا كاد يقتله"؛ ملمحا فيه بدور المناضل الثائر من أجل حرية الوطن المدافع عن الحريات، المحافظ على القيم والأصول تلك الثوابت التي ترتقي بها المجتمعات وتحيا حياة إنسانية تليق بها كأمة من الأمم؛ لذا استعان الشاعر إبراهيم الأسطى بأسلوب "الطباق " الذى يجمع بين المتضاد من المعاني ويقربها إلى السامع؛ فيرينا كيف أخذ الشعور والإحساس من الموت ورده إلى الحياة مرة ثانية، وبهذا فقد أنقذه من القتل الذى كاد أن يودي به، نرى الشاعر جامعاً بين الحياة والقتل في عبارة واحدة. وبدت مصداقية الشاعر في التعبير باللفظ "كاد" التي تفيد التقريب.

كذلك نلحظ جمال الاستعارة؛ حيث شخص الشعور ولعل الشاعر هنا يقصد الشعور بالحرية بصفة خاصة والإنسانية بصفة عامة، والشعور هنا بمعنى الإحساس، فقد شبهه بإنسان وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الشعور على سبيل الاستعارة المكنية، وتبدوا جمال الاستعارة في إبراز المعنويات في صورة المحسوسات.

وذيل بيته الشعري بأسلوب إنشائي دعائي نابع من نفس محبة للوطن تتمنى زوال حكم الطاغي وعدم ظفره.

والبيت الثاني للشاعر إبراهيم الأسطى يستوقفنا أيهما أفضل طبيب الجسد أم طبيب النفس؟

وللإجابة عن هذا السؤال نرى لكل منهما ميدانه، فإذا كان فيه وقع موقعه وترك أثره في البشرية.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

والشاعر إبراهيم جعل في رثائه المرثي طبيباً للنفوس؛ فهو المجاهد المناضل من أجل حرية وطنه ذلك الوطن الذي يحتاج إلى شحذ كل القوى مادية ومعنوية، وفي حالات الحروب يكون للتشجيع المعنوي أثراً تعجز عن وصفه العبارات.

فنرى قوله: " وكنت فينا طبيبا للنفوس" معبراً بالحرف "في" الذي يفيد الظرفية، والشاعر بهذا يوضح مكان المجاهد المناضل (عمر المختار) بين صفوف المناضلين؛ فهو في العمق شديد الصلة بهم يدرك خلجات النفوس؛ لذا يستطيع أن يقوم بدوره كطبيب لهذه النفوس إذا " ما مسها الجرح أو ما هدها الكدر" فلا يظهر دور الطبيب ومكانته إلا حالة الأذى ووقت الجراح.

وقد نوع الشاعر إبراهيم الأسطى في أساليبه التعبيرية ما بين الخبرية والإنشائية، وحينما استعان بالأسلوب الإنشائي كان لغرض الدعاء وهو ما يتناسب مع طبيعة القصيدة التي تتحدث عن مناضل مات من أجل حرية بلاده.

– أما شوقي فجعل محور أسلوبه الاستفهام التقريري؛ ليحمل السامع على التفكر والتأمل والإقرار بالحقيقة التي يدرجها الشاعر، والنتيجة الحتمية لكافة التساؤلات في قوله:

فَآمَنتُ بِاللَهِ الَّذي عَزَّ شَأنُهُ ∴ وَآمَنتُ بِالعِلمِ الَّذي عَزَّ طالِبُه

كذلك رأينا أسلوب القصر في البيت الثاني ملتفاً بعباءة تقديم المفعول به لكمال العناية والاهتمام.

– ونرى الشاعر أحمد محرم يعبر عن حقيقة يعلمها كل من مس شغاف قلبه الرسالة المحمدية وسمى بروحه إلى تلك الآفاق اللانهائية،

ويخبر عما أحسه وما علمه وتحققت منه ذاته بأن محمداً – صلى الله عليه وسلم – بعث برسالة فيها شفاء لكل داء، فنرى البراعة في التعبير مع الاحتراس في المعاني؛ وكأن الشاعر أراد الاستعانة بالصورة التشبيهية وبعد طول نظر واستغراق في التأمل وجد عجز أسلوب التشبيه عما أراد من معان فلجأ إلى الحقيقة اللغوية؛ لأنه أيقن أن منزلة رسول الله فاقت كل الأبعاد فلا يوجد من يشبه به، ولم يتوقف أحمد محرم عند هذا الحد فاحترس بأنه ليس كأي طبيب ولكنه الطبيب الذي يتصف بصفة واحدة هي صفة الشفاء، ولم يكن الشفاء لشخص واحد وإنما للعالم الوحشي.

– ونختم تلك الموازنات في الطب بقول الشاعر صالح البدري[١] صاحب التمنيات من بحر الخفيف:

أتمنى بأن أكون طبيبا ∴ ذا اختصاص بعلم طب العقول

فأداوي عقول من قد أضلوا ∴ الناس بالوهم عن سواء السبيل

وها نحن الآن مع طب العقول وهذا نوع من الطب، وقد مر بنا طب النفوس، وطب الأسقام، وشاعرنا هنا يعبر بأسلوب قريب من النفس واضح؛ فهي أمنية تجول بخاطره عاشت في نفسه زمناً أراد البوح بها؛ فجرد أسلوبه من الصنعة الفنية مؤثراً الحقيقة اللغوية؛ لتكون أقرب إلى عقل السامع وألصق بنفسه

(١) صالح مهدى البدرى (1893 - 1943)شاعر عراقى. ولد فى مدينة سامراء وتعلم فيها ثم فى المدرسة الرشدية ببغداد. وكان ذكياً مجداً فى الأدب. جالس الشعراء واستفاد منهم مثل معروف الرصافى وجميل صدقى الزهاوى وعبد الرحمن البناء. عمل موظفاً فى الدوائر العقارية (طابو) فى عدد من المدن العراقية. كان يجيد اللغة التركية وقد ترجم منها إلى العربية وكان له إلمام بالفرنسية والفارسية. فاز بجوائز لمسابقات شعرية عراقية. ترك ديواناً شعرياً جمعه ولده وسمّاه التمنيّات. https://ar.wikipedia.org/wiki/.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المطلب الثالث

الموازنة في الحديث عن منزلة العلم ومكانته

وفي الحديث عن قيمة العلم

- يقول شوقي:

هُنالِكَ كانَ العِلمُ يُبلي بَـلاءَهُ ∴ وَكانَ سِلاحُ النَفسِ تُغني تَجارِبُه

كَريمُ الظُبا لا يَقرَبُ الشَرَّ حَدُّهُ ∴ وَفي غَـــيرِهِ شَرُّ الوَرى وَمَعاطِبُه

إِذا مَرَّ نَحوَ المَرءِ كانَ حَيـــاتَهُ ∴ كَإِصبَعِ عيسى نَحوَ مَيتٍ يُخاطِبُه

- ويقول ابن الجنان [(١)]:

أما قد علمنا والعقول شواهد ∴ بأن انقراض العلم أصل المهالك

هل العلم إلا الروحُ والخلق جثة ∴ وما الجسم بعد الروح بالمتماسك

- بين الشاعرين:

كلا الشاعرين اعتمد على صيغة الماضي في عرض فكرته وعقيدته في العلم، وإن كان شوقي قد استعان باسم الإشارة " هنالك" للبعيد للإشارة إلى مكانة العلم ومنزلته فإن ابن الجنان استعان " بقد" الداخلة على الفعل الماضي لإفادة تحقق الوقوع المشفوع بالعلم المدلول عليه بالشواهد في

(١) إنه أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري القيسي المعروف بـ (ابن الجَنان)، ويرجع فى نسبه إلى الصحابى الجليل قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري صاحب أمير المؤمنين (عليه السلام). ولد فى مدينة مرسليه فى الأندلس فى القرن السابع الهجري، أما شعر ابن الجنان فقد توزّع على موضوعات الشعر العربى وأغراضه جميعها، باستثناء الموضوعات التى ناقضت سلوكه الدينى وسيرته القويمة والذي نشأ عليهما وعرف بهما، فعزف عن هجر القول وباطله، وتتصدر (النبويات) ـــ مدح الرسول صلى الله عليه وآله ـــ ديوانه.

قوله:" أما قد علمنا والعقول شواهد" ليصل من خلال عرضه لهذه المقدمات إلى نتائج مسلمة بها لبنائها على أسلوبي علمي يتناسب وروح وحقيقة العلم تلك النتيجة هي" بأن انقراض العلم أصل المهالك".

ويستهل ابن الجنان بيته بأسلوب إنشائي نوعه الاستفهام بـ"هل" للاستفهام التقريري يحملنا على هذا القول ذكره بعد بيان قيمة العلم بالأدلة المنطقية، بينما عبر شوقي بالأسلوب الخبري؛ فهو يتحدث عن حقيقة يمكن التحقق منها وفقاً للواقع.

وقد جعل ابن الجنان من التشبيه البليغ أداة للوصل إلى ما أراد من معان؛ فالعلم بمثابة الروح للإنسان، ويؤكد هذا المعنى بقوله: " والخلق جثة " أي أن هيكل الإنسان هذا جثة أي لا حياة فيها؛ وتبعث الروح في هذه الجثة إذا نالت قسطها من العلم، كما أن الجسم بدون الروح لا تماسك به. وكذلك جعل شوقي من التشبيه وسيلة للحياة؛ فشبه العلم بمعجزة عيسى – عليه السلام – في إحياء الموتى.

هكذا نرى التقارب في المعاني بين الشاعرين، واتحاد الوسيلة البلاغية في أداء هذه المعاني.

– وعن قيمة العلم قال إبراهيم بن محمد بن خليفة بن سلمان آل خليفة [١]:

---

(١) هو شاعر، واديب، وساهم بأنشاء مدرسة الهداية الخليفية، وأسس نادي المحرق الأدبي سنة ١٩٢٠. ولد الشيخ إبراهيم الخليفة بمملكة البحرين في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، وتربى في بيت ميسور الحال، حيث كان والده حاكم البلاد وسلطانها، وعهد بتربيته إلى بعض علماء نجد، فبرع باللغة العربية، وآدابها، ثم ارسله إلى موبي الهندية، لاستكمال علومه. https://ar.wikipedia.org/wiki/

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أما العلم اكسير السعادة للفتى ∴ أما العلم عز لم يفارقه حامله

لعمرى ان العلم روح وجسمه ∴ وجود الفتى والعقل يا صاح عامله

وهو في قوله هذا متأثراً بابن الجنان؛ فجعل العلم اكسير السعادة وعز لحامله، وفي البيت الثاني جعل العلم كالروح، جسم هذه الروح وجود الفتى معتمداً على التشبيه البليغ. واستعان بـ " أما"[١] أي حقاً العلم اكسير الحياة.

– ما سبق مجرد نماذج للموازنة لنقف على أهمية الموضوع، وأثره على الجانب الإنساني، وبيان دور الكلمة على النفس البشرية، فالعالم في حاجة ماسة إلى من يقدر علمه ويحفظ مكانته، ويضعه في موضعه الذي يستحق، ولم يقتصر الأمر على عصر معين، ولم يُحد بمكان، بل وجدنا الأمر بكثرة بين الشعراء عامة؛ وجدناه بمصر عند أمير الشعراء أحمد شوقي، وعند أحمد محرم، وفي البحرين عند الشاعر: إبراهيم بن محمد بن خليفة بن سلمان آل خليفة، وفي العراق عند الشاعر: صالح مهدي البدري، وفي الأندلس عند ابن الجَنان، وفي لبيا عند الشاعر: إبراهيم الأسطى عمر، وفي لبنان عند جرمانوس الشمالي، ولم يقتصر الاهتمام بالعلم والارتقاء به على ديانة دون أخرى؛ فوجدناه كذلك عند جرمانوس الشمالي.

وهذه الدعوة المتأججة من أجل الاهتمام بالعلم لم تكن من فراغ بل دعا إليها ما عانته الأمم العربية من إهمال للعلم، وترك العلماء بلا دعم أو مساندة.

والعلم عند شوقي مثله دور الطبيب، ومن يقرأ أبيات شوقي للوهلة الأول يحس أنها تعبير عن حاثة عاصرها الشاعر. وبعد التأمل في الألفاظ

(١) حرف بمعنى حقًّا أما أنّك ناجح. ./https://www.almaany.com

والتدقيق في المعاني يدرك أن مثل هذه الأمور لا تؤخذ على ظاهرها بل هناك خفايا تنطوي تحت كل مفردة ذكرها الشاعر تعكس صورة للنفس البشرية على جهة الخصوص وصورة للعصر بصفة عامة. ننطلق منها إلى أخذ العبرة مما يدور حولنا. نتوقف لنرى كيف دارات الأبيات حول مهنة الطب وكونها أشرف المهن؛ فهي مهنة إنسانية يؤتمن فيها الطبيب على من يعالج، وكانت تحت عنوان " الله والعلم" وابتدأت بالسؤال:" لِمَن ذَلِكَ المُلكُ الَّذي عَزَّ جانِبُهُ" ودارت القصيدة في فلك الإجابة عن هذا السؤال، ذكر الشاعر خلال أبياته الكثير من الآثار لأخذ العظة والاعتبار ولتكون إجابته على قدر النتيجة التي يسوقها إلى القارئ، فأجاب الشاعر على تساؤله هذا في عدة مواضع في القصيدة: في البيت ٢٤ في قوله: " لَكَ المُلكُ يا مَن خَصَّ بِالعِزِّ ذاتَهُ"، وكذلك في البيت ٢٦ في قوله: " وَآمَنتُ بِالعِلمِ الَّذي أَنتَ نورُه" ويختم القصيدة بالقول الفصل والإجابة الشافية قائلاً:

فَآمَنتُ بِاللَهِ الَّذي عَزَّ شَأنُهُ ∴ وَآمَنتُ بِالعِلمِ الَّذي عَزَّ طالِبُه

ليجيب عن كافة التساؤلات ومعرفة المقصد الأصلي من إنشائه هذه القصيدة لنرى في المقدمة براعة الاستهلال، وفي ثنايا القصيدة حسن التخلص[١] وفي الخاتمة براعة الانتهاء[٢] وفي ثنايا القصيدة نجد

(١) حسن التخلص هو: الانتقال مما ابتدئ به الكلام من تشبيب أو ذكر للديار أو وصف للخمر ونحو ذلك إلى الغرض المقصود منه الكلام مع رعاية الملائمة بين ما ابتدئ به وما انتقل إليه. علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع، د. بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، صـ ٢٥٩.

(٢) براعة الانتهاء: أن يكون في نهاية القصيدة ما يشعر وينبئ بانتهاء الكلام مع مراعاة ما روعي في حسن الابتداء من تخير الألفاظ. والنظم الجيد وصحة المعنى، ومطابقته لمقتضى الحال. علم البديع، د. بسيوني فيود، صـ٢٧٤، ٢٧٥. مرجع سابق.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

التناسب[١] بين معاني القصيدة؛ فهي خطاب للنفس البشرية، وإن كان موضوع البحث يدور حول الرؤية البلاغية لقصيدة شوقي، فلم تتوقف الدراسة على بيان المصطلحات البلاغية واستخراجها من النص بل دارات حول إيثار الشاعر لألفاظ دون أخر؛ لحملها أثر نفسي منبعث من مكنونات الشاعر؛ وما ذلك إلا لمعرفتي اليقينية أن دور البلاغة العربية لا يقف عند الألفاظ والعبارات وجمالياتها في الصياغة فحسب بل دور آخر هو النفس البشرية ومتطلباتها، فكثير من العبارات قد تغيير مسار الأشخاص؛ وما ذلك إلا لكونها مست شيء في النفس، حددت موطن المرض وعالجته، فالبلاغة العربية بمثابة الطب ولكنه من نوع خاص طب النفوس، طب يحتاج فيه الطبيب للوصول إلى مراكز الإحساس والعقل؛ ويعد هذا سبباً من أسباب الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم ولعله ما عجز عن وصفه الوليد بن المغيرة حتى أتى مجلس قومه بني مخزوم، فقال: والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، وإن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو وما يعلى[٢]. والوليد بن المغيرة قصد بالحلاوة والطلاوة هنا الأثر النفسي الذي يتركه القرآن في نفس القارئ والسامع.

---

(١) "هو ترتيب المعاني المتآخية التي تتلاءم ولا تتنافر "نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري، موقع الوراق، ج٢،صـ٢٩٩، الكتاب مرقم آليا غير موافق للمطبوع.
http://www.alwarraq.com

(٢) تفسير البغوي، تأليف: البغوي، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، دار النشر: دار المعرفة – بيروت، الجزء الرابع، صـ ٤١٥

نجد أن الدراسات النفسية شديدة الصلة وتربطها علاقة وطيدة بالدراسات البلاغية؛ فكل منهما يجول في النفس البشرية لاستخراج خباياها وتوجيهها توجيهاً سديداً يليق بمبادئها وعقيدتها.

نلحظ في ثنايا البحث ذلك الأثر النفسي ابتداءً بالاستفهام لتك النفس الحائرة المتعجبة لما يدور حولها من غلفة تصيب الأنام ولم ينتبهوا إلا بوجود خطب جلل، وصدق الإمام على – رضي الله عنه حينما قال: " الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا".

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

خاتمة البحث

تناول البحث موضوعاً ذا قيمة فنية وبلاغية؛ حيث تعرض للفكر العقائدي بطريق خفي عبر فن أدبي هو أرق فنون الأدب على الإطلاق ألا وهو الشعر العربي، فيعمد إلى قصيدة لأمير الشعراء أحمد شوقي، قالها في مرحلة حياتية كلها تدبر وتفكر ذات مذاق ديني خاص؛ فبعد أن كان شاعر القصر أصبح شاعر الوطن؛ فدائما ما تمر نقاط فارقة في حياة الإنسان تصحح مساره، وتعدل اتجاهه وتهديه إلى الطريق المستقيم؛ لذا لم يترك شوقي هذه الحادثة تمر عليه دون الوقوف وتأمل الجانب الذي قد يغفل عنه البعض؛ فمن يتحدث عن ملك بريطانيا العظمى في أزهي مراحلها، ويصف مدى ضعفه أمام عارض من عوارض الحياة؛ لذا رأينا التنوع في أسلوب أمير الشعراء بين الخبر والإنشاء، يستفهم ويتعجب من تصاريف القدر.

وظف شوقي طاقاته البلاغية فقد تخطى حدود الزمان والمكان وانتقل بنا إلى عالم اللاحدود حينما استثمر أسلوب القصر، والتقديم في بيته السادس، وأسلوب الالتفات في البيت الثاني.

وكان لبلاغة الاقتباس دور فعال في معرفة كيفية توجيه النص، وما يرمي إليه الشاعر من معان.

لعبت الاستعارة المكنية دورها في القصيدة في أكثر من موضع وفي كل موضع كان لها جمالاً خاصاً؛ على سبيل المثال حينما صور الصراع الدائر بين النفس والدهر في البيت السابع أتى بالاستعارة المكنية ودار في فلكها العديد من الفنون البلاغية وبرع في اختيار ألفاظ ذات أثر فعال في آداء المعاني.

فرض الطباق نفسه؛ فرأينا الطباق بالسلب والطباق الخفي، والطباق المعنوي، ليفسح الطريق للعقل في استحضار المتضادات والربط بينهم.

عبر القصيدة كانت أساليب شوقي تتناسب مع النفس البشرية حيال المواقف المختلفة، فارتقى شوقي في تعبيراته منوعاً لأساليبه البلاغية، وقد تخللت الصور البيانية المختلفة العديد من الفنون البديعية التي تطلبتها المعاني، مع تسلسل للأفكار وترتيب في المعاني وتنسيق للصياغة.

ورأينا التشبيه بالنفي ذلك النوع من التشبيهات قليلة التواجد عند العديد من الشعراء؛ لما يحمله من قدرة فائقة في الاقناع.

على مدار القصيدة تضافرت الأساليب البلاغية لإيصال فكرة بعينها وحينما وصل الشاعر إلى ضالته هدأت نفسه وانعكس ذلك على الصياغة؛ فصار يخبرنا عما يشعر به بثقة نحسها في اختياره للمفردات، وتذوق الأساليب البلاغية المنطوية داخل العبارات المشيرة إلى الإجابة عن السؤال المطروح في مستهل القصيدة تلك الروح الهادئة الأقرب إلي الاقناع نجدها في الأبيات (من ٢٤إلى ٣٨).

– حينما نريد إبراز أثر الشاعر في الصياغة نلجأ إلى الموازنات لذا كان المبحث الثاني في الموازنة؛ حيث تم عرض المعنى الواحد بأكثر من طريقة تعبيرية؛ حيث وقع الاختيار لعدة معان في قصيدة شوقي والموازنة بينه وبين غيره من الشعراء في الأقطار العربية المختلفة؛ لبيان أثر الأساليب البلاغية على النفس البشرية؛ وكيفية الاختلاف في تناولها وعلى أثره نستطيع معرفة مدى تقبلها.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

نتائج البحث وتوصياته

– من خلال البحث ندرك مدى الصلة بين الدراسات البلاغية والدراسات النفسية لذا ينبغي على القارئ أو الناقد فهم كافة الأجواء المحيطة بالنص، والولوج إلى نفس الشاعر حتى يدرك لطائف النص.

– الاهتمام بدراسة المفردات اللغوية وما تحمله من طاقات بلاغية لبيان ما تثري به النص الأدبي.

– ثنايا البحث تثبت كون الصور البلاغية بمثابة إيقاظ ونداء دائم للعقل، وانعكاس للنفس البشرية؛ فهذا البحث يجسد شخصية شوقي المحبة للعلم والمقدرة للعلماء.

– أثبت البحث أنه كلما أتاح الشاعر لنفسه مساحة لغوية تتوافق والمعاني المطروحة استطاع تخطي كافة الحدود.

– البحث يجعلنا ندرك الدور الفعال للبلاغة القرآنية في اثراء الفنيات الأدبية، والإعانة على فهم النص بطريقة صحيحة من خلال معرفة الاتجاه العقائدي للكاتب وما يترتب عليه من توجيه للمعاني.

توصيات البحث

-ربط الدراسات النفسية بالدراسات البلاغية؛ حيث تعد البلاغة إحدى العلوم الإنسانية، التي تهتم بخوالج النفس البشرية؛ لذا يجب الاهتمام بتناول وتحليل العوامل النفسية لدى الشعراء.

-إعادة النظر في الموروث البلاغي وإضافة ما يستجد وفق متطلبات العصر، وأثر ذلك على النفس البشرية في صياغة الألفاظ، ودلالة التراكيب.

- تسليط الضوء على القصائد ذات المعاني القيمة واستخراج ما بها من قيم بلاغية وفنية تحمل مضامين تعكس روح عصر بأكمله.

- الاهتمام بالموازنات؛ فهي حلقة الوصل بين القديم والحديث على مر العصور، من خلالها يمكن الكشف عن أسرار الكلام.

وبعد فهذا جهد قدمته لرؤية بلاغية لقصيدة تعد من أفضل القصائد التي تحكي حقيقة وواقعاً في حقبة زمنية معينة إلا أنها تحاكى واقعاً نلمسه في حياتنا، فإذا كنت قد وفقت فبفضل الله ورحمته وإن كانت الأخرى فحسبي جهدي، وأجر المجتهد.

والله أسأل أن يجنبنا الزلل، وينأى بنا عن مواطن الخلل، ويلبسنا الحلل، ويسكننا الظُلل، إنه ولي ذلك والقادر عليه وأصلي وأسلم على سيداً محمد تسليماً كثيراً.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فهرس المراجع

١- القرآن الكريم.
٢- الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن السراج النحوي، بدون سنة طبع.
٣- الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني ــ تحقيق د. عبد المجيد هنداوي، المختار للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ٢٠٠٦م.
٤- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ)، تحقيق عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٩م.
٥- بلاغة الأسلوب د/ بسيوني عرفة رضوان طبعة: دار الرسالة للطباعة ١٣٠٤هـ ١٩٨٣م.
٦- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، لابن أبي الإصبع المصري (٦٥٤هـ)، تحقيق د. حفني محمد شرف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لجنة إحياء التراث.
٧- تسهيل نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، للرازي، تحقيق د. عبد القادر حسين، طبعة دار الأوزعي بيروت- لبنان، ١٩٨٩م.
٨- التعريفات، للشريف علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨م.
٩- تفسير البغوي، تأليف: البغوي، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، دار النشر: دار المعرفة – بيروت.
١٠- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، لأحمد الهاشمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان.
١١- ديوان أبي العتاهية، دار بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٦٨م.

١٢- ديوان حافظ إبراهيم، تحقيق أحمد أمين، وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م.
١٣- ديوان شوقي (الشوقيات)، تحقيق د. أحمد الحوفي، دار نهضة مصر بالقاهرة.
١٤- ديوان علي بن جبلة، تحقيق :د. حسين عطوان دار النشر :دار المعارف، الطبعة الثالثة.
١٥- شرح المفصل للزمخشري المؤلف: يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (المتوفى: ٦٤٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
١٦- الشعر العربي الحديث، د. عبد المجيد هندي، مكتبة عين شمس.
١٧- الشوقيات لأمير الشعراء: أحمد شوقي – تحقيق د. يوسف الشيخ محمد البقاعي – دار الكتاب العربي –٢٠١٤م.
١٨- صحيح مسلم، تأليف: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
١٩- علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع، د. بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
٢٠- علم البيان، د. عبد الفتاح لاشين، طبعة دار المعارف.
٢١- فن البديع، د. عبد القادر حسين، دار الشروق، ٢٠٠٢م.
٢٢- كتاب الصناعتين ــ أبو هلال العسكري : تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ط : المكتبة العنصرية – بيروت : ١٤١٩ هـ.

٢٣- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين ابن الأثير (ت٧٣٧)، تحقيق د. أحمد الحوفي، د. بدوي طبانه، دار نهضة مصر، الجزء الثاني.
٢٤- المصنوع في معرفة الحديث الموضوع (الموضوعات الصغرى)، علي بن سلطان محمد الهروي القاري، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٣٩٨ هـ، الطبعة: الثانية.
٢٥- معجم الشعراء العرب من موقع الموسوعة الشعرية.
٢٦- المفصل في علوم البلاغة (المعاني - البيان - البديع)، البروفيسور، عيس على العاكوب، جامعة حلب، سنة ٢٠١٧م.
٢٧- الموازنة بين أبي تمام حبيب بن أوس الطائي (ت ٢٣١هـ)، وأبي عبادة الوليد بن عبيد البحتري الطائي (ت٢٣٤هـ)، للأمام النقادة أبي القاسم الحسن بن بشر بن يحي الآمدي البصري (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العلمية، بيروت - لبنان.
٢٨- نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري، موقع الوراق.
٢٩- وحي الرسالة، فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع والقصص، لأحمد حسن الزيات، دار الثقافة.
30- http://midad.com/scholar
31- http://www.alwarraq.com
32- https://al-maktaba.org/book/2114
33- https://ar.wikipedia.org/wiki
34- https://dorar.net/.
35- https://mawdoo3.com
36- https://www.aldiwan.net./
37- https://www.almaany.com/.
38- https://www.moh.gov.sa/

فهرس الموضوعات

م	الموضـــــوع	الصفحة
١-	ملخص	٣٠٨٧
٢-	Abstract	٣٠٨٨
٣-	المقدمة	٣٠٨٩
٤-	التمهيد ، فقد اشتمل على أمرين :	٣٠٩٣
٥-	الأمر الأول : أحمد شوقي سيرة وحياة .	٣٠٩٣
٦-	الأمر الثاني : بين يدي القصيدة .	٣٠٩٥
٧-	المبحث الأول: التحليل البلاغي والنقدي للقصيدة.	٣٠٩٨
٨-	المبحث الثاني: موازنات بلاغية، وجاء في ثلاثة مطالب:	٣١٣٠
٩-	المطلب الأول: الموازنة البلاغية في حسن العواقب.	٣١٣٢
١٠-	المطلب الثاني: موازنة بلاغية في الحديث عن مكانة الطبيب.	٣١٣٦
١١-	المطلب الثالث: موازنة بلاغية في الحديث عن منزلة العلم ومكانته.	٣١٤٠
١٢-	خاتمة البحث	٣١٤٦
١٣-	نتائج البحث وتوصياته	٣١٤٨
١٤-	فهرس المراجع	٣١٥٠
١٥-	فهرس الموضوعات	٣١٥٣